

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1  
كلية الآداب واللغات  
قسم الآداب واللغة العربية

دروس في مادة: مضمون الخطاب النثري القديم.

الأستاذ: د/عبد العزيز نقبيل  
المقياس: مضمون الخطاب النثري القديم. السداسي الثاني.  
السنة: الأولى ماستر.  
التخصص: أدب قديم  
النوع: محاضرة  
الفوج: 3أ-3ب-4أ-4ب

السنة الجامعية: 2020-2021

عنوان الماستر :أدب عرب قد يمّ السنة الأولى ماستر أدب قديم-السداسي الثاني-

اسم المادة :مضمون الخطاب الثري القديم.

الرصيد: 4 المعامل:2

محتوى المادة:

- 1-المضمون الاجتماعي والأخلاقي في الحكم والأمثال والوصايا1.
- 2-المضمون الاجتماعي والأخلاقي في الحكم والأمثال والوصايا2.
- 3-المضمون الاجتماعي والسياسي في الرسائل الديوانية. المعاهدات والرسائل الدبلوماسية1.
- 4- المضمون الاجتماعي والسياسي في الرسائل الديوانية. المعاهدات والرسائل الدبلوماسية2
- 5-المضمون الاجتماعي والأخلاقي في المقامات1.
- 6- المضمون الاجتماعي والأخلاقي في المقامات2.
- 7-المضمون الأدبي والفني في رسالة التوابع والزوابع1.
- 8- المضمون الأدبي والفني في رسالة التوابع والزوابع2.
- 9- المضمون الماورائي في رسالة الغفران1.
- 10- المضمون الماورائي في رسالة الغفران2.
- 11- المضمون الفلسفي في قصة حي بن يقضان1.
- 12- المضمون الفلسفي في قصة حي بن يقضان2.
- 13- المضمون النفسي والاجتماعي في بخلاء الجاحظ1.
- 14- المضمون النفسي والاجتماعي في بخلاء الجاحظ2.
- 15- المضمون العلمي في كتاب الحيوان1.
- 16- المضمون العلمي في كتاب الحيوان2.

## المحاضرة الأولى: المضمون الاجتماعي والأخلاقي في الحكم والأمثال والوصايا.

### المثل:

المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها تشتهر بالتداول فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصلح قصده بها من غير تغيير لفظها، يستخدم استخدامها مجازياً، صائب المعنى، يعتمد كثيراً على التشبيه يتسم بالإيجاز البليغ والاستعمال الشائع والتشبيه، وجمال اللغة والثبات والاستعمال المجازي وجودة الكناية.

### المضمون:

ليس لمفهوم المضمون معنى واحداً وإنما يعتبر من المفاهيم الجامعة المركبة فهو يدل على المحتوى والمتن<sup>(1)</sup> فهو مفهوم يشكل وفقاً للمحتوى المراد والأيدلوجية التي تحتويه من ناحية، واستخدامه في السياقات المختلفة من ناحية أخرى، وتتمحور المضامين حول مجموعة من الأبعاد والقيم الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية والعلمية يكتبها الفرد من خلال المثاقفة والمدارس والاحتكاك.

### أهمية الأمثال والحكم العربية في العصر الجاهلي:

لا يخفى على كل من له أدنى إلمام بالأدب العربي القديم أن الأمثال العربية لها أهميتها ومكانتها عند العرب لأنها خلاصة حياتهم وتجاربهم، بها تنطق ألسنتهم وتصف أحوالهم الفكرية والاجتماعية والأدبية والثقافية والتاريخية والأخلاقية، وترجم واقعهم وآمالهم وآلامهم، في عبارات بليغة موجزة وتعبّر في أبلغ بيان عن واقعهم وحياتهم ويمكن القول: إن الأمثال هي صوت الأمة القوي وقلبها النابض وضميرها الحي وعقلها الواعي. يقول ابن الجوزية (ت751هـ): ففي الأمثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته<sup>(2)</sup>.

ويقول الإمام السيوطي (ت911هـ): المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتدأوا فيما بينهم، وفأهوا به في السراء والضراء واستدروا به الممتع من الدر ووصلوا به المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب وهو أبلغ من الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة<sup>(3)</sup>.

1- ينظر: الرازي: مختار الصحاح.

2- ينظر: ابن القيم الجوزية: الأمثال في القرآن الكريم.

3- ينظر: السيوطي جلال الدين: المزهري في علوم اللغة وأنواعها.

كان العرب قديما أهل نفوس حساسة وأولوا غيرة وأصحاب ارتجال وبديهة، فدفعهم كل ذلك إلى مساهمة كبيرة في الأمثال، فاستخدموها في كل مجال من المجالات المختلفة، فلا يخلو موقف من حياتهم العامة إلا ونجد مثلا قد ضرب ، ولا تخلو خطبة مشهورة ولا قصيدة سائرة من مثل رائع مؤثر في حياتهم.

### المضامين الأخلاقية والاجتماعية:

تعد الأمثال العربية القديمة وعاء لغويا ومصدرا مهما من مصادر اللغة الغنية بالمفردات والتراكيب اللغوية، وما تحمله من شواهد نحوية وبلاغية متميزة إلى جانب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لذا فهي ذات أثر أو علاقة بالوظائف الاجتماعية كوسيلة للاتصال والتفاهم بين أفراد المجتمع، كما تعتبر الأمثال العربية مرآة عاكسة لمجتمعهم تعكس عاداتها وعقائدها وسلوك أفرادها في مختلف المجالات فالأمثال من أبرز المأثورات التي تحتزن في مخيال الأفراد والأمم لتضمنها البساطة والعمومية والطرافة وبعض من ألوان البديع، ولما تحتويه من حوادث وقصص احتوتها ذاكرة الأيام، ومن سماتها:

- تصور الحياة الاجتماعية للإنسان في ذلك الزمن.

- تسهم في التعريف بعادات وأعراف وتقاليد وسلوك الأفراد وطبائعهم وأخلاقهم وطرق تفكيرهم.

- تتضمن القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تطبع مختلف جوانب حياتهم.

وما تركته العرب من أمثال يعد صورة كاملة تتضمن العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد مجتمعهم، والمتأمل لنصوص الأمثال العربية يجد أنها تحث على التمسك بقيم العلاقات الطيبة بين الإنسان ومجمعه ليعم فيه الخير والنفعة، وتنهى في نصوص أخرى عن القيم السلبية التي تهدم المجتمع، والعربي منذ زمن قديم أدرك أن الحفاظ على المجتمع لا يتم إلا بتوافر روح الحب والمودة والتعاون والوفاء وحسن الشكر والجزاء للفعل الحسن، فقد أدرك المجتمع العربي مقومات بناء المجتمع الذي لا تستقيم حياته إلا بالقيم والأخلاق الحسنة. وتحمل الأمثال أبعادا أخلاقية واجتماعية في مضامينها تنعكس على حياة الأفراد والمجتمع والأعراف والمعتقدات وكل نظراتهم إلى الحياة.

والأمثال من الأشكال الأدبية التي تعبر عن الواقع بشكل يقترب من الصدق؛ لأنها تعد نتاج فكر وأحداث وتجارب للحياة اليومية، وهذا يعنى أنها تصيب المعنى، والملاحظ في بعض الجوانب التركيبية للأمثال، نجد كثيرا من الأمثال تأتي في صيغة الجملة الاسمية التي تفيد العموم والتي تدل على الثبات لاسيما صيغة أفعل، ويتضمن منها الجملة الشرطية التي يترتب فيها شيء على شيء ، وفيها أيضا أساليب الأمر والنهى التي تحث على خير وتزجر شرا، أو تسدى موعظة ونصيحة، قد تكون عامة وقد تكون خاصة بالمخاطب.

تتضمن أمثال العرب الكثير من القيم الأخلاقية التي عاجتها الأمثال العربية وهي في مجملها قيم تهدف إلى النصح والإرشاد والتوجيه إلى الأفضل نذكر منها: الصبر، التأني، القناعة، التوكل وحسن التدبير، العفو والتسامح، الاعتماد على النفس، المروءة، الشجاعة، الإقدام، العزة والشرف، حسن المظهر، العبرة بالجوهر، حسن الأدب، قيمة السكوت، الممارسة والحنكة، الحث على صلة الأرحام، حسن الاختيار في المصاهرة، حث النساء على الزواج، حب الزوجة والأبناء، الحث على اختيار الصاحب، التعاون والتكاتف، رد الجميل والمعروف، كتم السر، مدح الحق وذم الباطل، الحث على المواساة والتعزية.

### من مضامين الأمثال العربية:

-**الشجاعة:** تشتمل هذه المجموعة على الأمثال التي تشير إلى معاني القوة والشجاعة ومنها: (أجرأ من فارس خضاف)، (أجسر من قاتل عقبة)، (أشجع من أسد) ، (أفتك من البراض)، (إن البغاث بأرضنا تستنسر) (جری المذکيات غلاب)، (جری الوادي فطم على القرى)، (الشجاع موقى)، (فبيته يؤتى الحكم)، (لا حر بوادي عوف)، (لبست له جلد النمر)، (لولا جلادي غنم تلادي)، (من لم يزد عن حوضه يهدم)<sup>(1)</sup>.

-**الصبر:** تضم هذه المجموعة الأمثال الدالة على معاني الصبر الذي يعد من أفضل الصفات الإنسانية الحميدة التي حرص العربي عليها ؛ نتيجة لطبيعة حياته في الجزيرة العربية ومن هذه الأمثلة: (أساف حتى ما يشتكى السواف)، (أصبر من عود)، (أطول ذماء من الضب)، (صبرا على مجامر الكرام)، (عند الصباح يحمد القوم السرى)، (غمرات ثم ينجلين)، (من لم يأس على ما فاته ودع نفسه).<sup>(2)</sup>

-**الشرف والكرامة:** تشتمل هذه المجموعة على الأمثال التي تحمل معاني الشرف والكرامة، التي طالما حرص العربي عليها حتى القتال، وأقام حياته عليها ، فلا حياة بدون الشرف والكرامة في مجتمع كالمجتمع العربي مثل: (تجوع الحرة ولا تأكل بثديها)، (الخيل تجرى على مساويها)، (ذكرتني الطعن وكنت ناسيا)، (لا بقيا للحمية بعد الحرائم) ، (لا يأبي الكرامة إلا حمار)، (موت لا يجر إلى عار خير من عيش في رماق)<sup>(3)</sup>.

-**الحلم والعفو:** تشتمل هذه المجموعة على الأمثال التي تحمل معاني الحلم والعفو، وما أجمل هاتين الصفتين حينما ينعت بهما الإنسان، فالحلم سيد الأخلاق، والعفو أعظمها؛ ولذا حرص العربي على الاتصاف بها فجاءت الأمثال تدل على ذلك : (أحلم من الأحنف)، (إذ أرجعن شاصيا فارفع يدا) ، (إذا قام بك الشر

1-ينظر: مجمع الأمثال للميداني.

2-ينظر: مجمع الأمثال للميداني.

3-ينظر: مجمع الأمثال للميداني.

فاقعد) ، (أسمح من لافظة) ، (إن المقدرة تذهب بالحفيظة)، (الحليم مطية الجهول)، (طويته على بلالته)، (كأن على رؤوسهم الطير) ، (ملكنت فأسجح) ، (من سلك الجدد أمن العثار).<sup>(1)</sup>

**-الصدق والوفاء:** تشتمل هذه المجموعة على الأمثال التي تشير إلى معاني الصدق والوفاء، وهما صفتان تمسك بهما المجتمع العربي؛ من أجل الاستمرار في الحياة، منها هذان السلاحان المتمثلان في الصدق والوفاء ، فجاءت الأمثال داعية إلى ذلك : (أنجز حر ما وعد)، (أوفى من السموأل) ، (الرائد لا يكذب أهله) ، (العدة عطية) ، (من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه) ، (من لك بأخيك كله)<sup>(2)</sup>....

**-الكرم والغنى:** تضم هذه المجموعة الأمثال التي تحمل معاني الكرم والغنى وتدعو إليهما : (أجود من كعب ابن مامة) (أسخى من حاتم) ، (التقى الثريان) ، (أمر عت فأنزل) ، (إن أخاك من آسأك)، (جاء بالضح والريح)، (جاء بالقض والقضيض)، (جاء بما صأى وصمت) ، (جاء بالهيل والهيلمان)، (الذود إلى الذود إبل)، (زادك الله رعالة كلما ازددت مثالة) ، (صري واحلي)، (كالخروف أينما اتكأ اتكأ على صوف)<sup>(3)</sup>. إذا نظرنا إلى طبيعة الحياة في الجزيرة العربية حيث مقطن العربي نجد أنها حياة تحيطها المخاطر والمخاوف من كل مكان، من مختلف الكائنات، فضلا عن أن المجتمع العربي مجتمع يسيجه الخطر والخوف والظلم والشر؛ لأنه ينقصه قانون يضبطه ويحميه.

الإنسان في العصر الجاهلي يعيش في مجتمع لا بقاء فيه إلا للقوى الشجاع الكريم الخبير العزيز ... من هنا دار صراع داخل الإنسان العربي ما بين الحياة والفناء، والحياة تفرض عليه أن يتصف بصفات معينة فإن فقدتها لم يتمكن من الاستمرار فيها. أدرك العربي ذلك فدعا بكل ما يمتلك من أسلحة إلى التسلح بالصفات الحميدة.. أدرك أنه لا حياة إلا بالقوة والعزة والشجاعة والفروسية والعلم والكرم والشرف والكرامة، كما أدرك أنه لا بقاء للضعيف الذليل البخيل الجاهل المهان سيئ الخلق، أدرك كل هذا فحاول بشتى الوسائل أن يتسلح بالصفات الحميدة.

### العلاقات الاجتماعية:

تشتمل هذه المجموعة على الأمثال التي تشير إلى معاني الحب والصدقة التي يصنعها الإنسان مع أفراد مجتمعه ، والعربي وفقا لطبيعة حياته بحاجة ماسة أن يحسن صنع هذه العلاقة ، فبدون الحب والصدقة والإخوة والوثام يصعب على العربي أن يستمر في حياته بشكل طبيعي، فدعا إلى إيجاد هاتين العلاقتين من

1-ينظر: مجمع الأمثال للميداني.

2-ينظر: مجمع الأمثال للميداني.

3-ينظر: مجمع الأمثال للميداني.

خلال أمثاله في صورها المختلفة: (أخبرتكَ بعجري وبجري)، (ألقى عليه بعاغه) ، (إنما يعاتب الأديم ذو البشرة)، (حبك الشيء يعمي ويصم)، (رب أخ لك لم تلده أمك)، (رب ساع لقاعد)، (زر غبًا تزدد حبًا)، (عرف حميق جملة)، (لك ما أبكى ولا عبرة بي)، (نزو الفُرار استجهل الفُرار) ، (نظرة من ذي علق)، (الهوى إله معبود)، (الهوى شديد العمى).

تضم الأمثال التي تصف علاقة المساعدة والوفاق والاجتماع وعدم التفرق بين الإنسان وأفراد المجتمع المحيط به، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن المجتمع، أدرك العربي ذلك مبكرًا، فدعا إليه في أمثاله بصور متباينة: (احلب حلبا لك شطره)، (إذا عز أخوك فهن)، (أعط القوس باربيها)، (بالساعد تبطش اليد)، (خير المال عين ساهرة لعين نائمة)، (شب شوبا لك بعضه)، (لولا الوثام لهلك الأنام)، (ضرب في جهازه)، (جاء بالقضو القضيض)، (جاءوا على بكرة أبيهم)<sup>(1)</sup>.

وفي ختام هذه المحاضرة يمكن القول: إن للامثال العربية مضامين تضمنت خلاصة خبراتهم وتجاربهم عبر السنوات الطويلة وهي خلاصة مركزة لحياة الإنسان العربي في القديم، ترجم من خلالها معاناته وشقائه وسعادته وغضبه ورضاه، نجد فيها مختلف التعبيرات التي تمثل الحياة الاجتماعية والأخلاقية التي سادت في المجتمع العربي القديم. ونصوص الأمثال تغطي كل حياة الإنسان العربي القديم النفسية والاجتماعية والسياسية والثقافية وكل ما يمكن أن يقوم به داخل مجتمعه، وكل ما يمكن أن يقوم به من علاقات ايجابية فهي صورة صادقة عاكسة لمختلف نواحي حياته.

إن هذا التراث من أقوال العرب وأمثالهم وحكمهم ووصاياهم يعتبر مادة متنوعة لدراسات لغوية وأدبية ونفسية واجتماعية وثقافية.

## المحاضرة الثانية: المضمون الاجتماعي والأخلاقي في الحكم والأمثال والوصايا.

## الوصية:

الوصايا جمع وصية والوصية ما توجهه إلى إنسان قريب إليك، فهي ثمرة تجربة وحكمة وإرشاد وتوجيه... وهي لون من ألوان الخطابة قاصرة على الأهل والأقارب والأصدقاء والفرق بينهما: أن الوصية تكون من الرجل لقومه وأبنائه، ومن الأم لابنتها، والخطابة تكون في المشاهد والمجامع والحروب والمعارك وفي المفاخرة والمحاورة. والوصية لون من ألوان النثر في العصر الجاهلي وهي قول حكيم صادر عن مجرب خبير يوجه إلى من يجب أن ينتفع به وربما تكون هذه الوصية صالحة لشخص آخر في زمن آخر إذا توقفت المناسبة<sup>(1)</sup>.

### وصية أمامة بنت الحارث إلى ابنتها أم إياس:

حفظ لنا التراث العربي العديد من النصوص الأدبية التي تكشف لنا عن تمسك المجتمع بقيم أخلاقية هي غاية في الروعة والسمو؛ ومن أشهر هذه النصوص ما روي من أن "عمرو بن حجر" خطب إلى "عوف بن محلم الشيباني" ابنته "أم إياس" فقال: نعم أزوجه على أن أسمي بنيتها، وأزوج بناتها، فقال "عمرو بن حجر": "أما بنونا، فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا، وأما بناتنا، فتكحن أكفاؤهن من الملوك، ولكي أصدقها عقاراً في كندة، وأمنحها حاجات قومها، لا ترد لأحد منهم حاجة، فقبل ذلك منه أبوها، وأنكحه إياها.

لما حان أن تحمل أم إياس إلى زوجها الحارث بن عمرو ملك كندة، دخلت عليها أمها لتوصيها فقالت: "أي بنية: أن الوصية لو تركت لفضل أدب، تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعوونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، وهن خلق الرجال، أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفه، وقرين لم تألفه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً.

يا بنية: أحلمي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكرًا: الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عنه عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم حسن التدبير، ولا تفشي

1- ينظر: محمد عثمان علي: في أدب ما قبل الإسلام الوصية دراسة تحليلية، ص 216.

وينظر: محمد نايف الدليمي: وصايا العرب، ج 1.



له سرا، ولا تعص له أمرا، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، ثم أتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحا، والاكتئاب عنده إن كان فرحا، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظاما، يكن أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري: رضاه على رضاك وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك"<sup>(1)</sup>.

### مضامين الوصية:

هي مجموعة من وصايا وتوجيهات صادرة عن أم لابنتها قبل زواجها، تبين فيها خلاصة تجاربها وخبراتها الزوجية من أجل خلق جوّ أسري يقوم على الحب والوئام والتفاهم والترابط والصفاء والنقاء والإخلاص والطاعة، وتنبع أهمية هذه الوصية من كونها رسالة من امرأة عركتها الأيام وحنكتها السنون، وخاضت معركة الحياة، فخرجت بحصيلة كبيرة وخبرة عميقة، كل ذلك اختمر في أعماقها، فاستخرجت صفوته لأعز ما تملك ابنتها لتراها زوجة مثالية.

تمثل هذه الوصايا والتوجيهات الصورة النموذجية لما ينبغي أن تكون عليه العلاقات الأسرية في البيئة العربية القديمة، وأهم ما في ذلك التفاهم بين الزوجين، ونبذ كل خلاف أو شقاق، فلا بد للمرأة أن تعرف ما يريد الزوج، فمن نظرة عينيه تفهم دواخل نفسه.

فلا شك أن كل فقرة من فقرات وصية الأعرابية هي تجسيد واضح لقيم أخلاقية واجتماعية سادت المجتمع العربي القديم وترسخت فيه هذه القيم التي هذبها الإسلام فيما بعد وخلصها من الشوائب الجاهلية التي تتنافى وقيم الدين الجديد، فحافظ الإسلام على الكثير من عادات وقيم العربي في العصر الجاهلي وأعاد صياغتها وفقا لإطار العقيدة الجديدة.

تلك الوصايا والتوجيهات من الأم العربية التي عركتها الأيام والسنون فأكسبتها قيما اجتماعية وخبرات إيجابية أرادت أن تفيد بها ابنتها التي تنهياً إلى الانتقال لمرحلة جديدة من حياتها تختلف كثيرا عن حياتها في كنف والديها، هذا السر له الأثر البالغ في توعية الفتاة كي تصبح زوجة صالحة ومسؤولة عن بيت زوجها وتأسيس أسرة جديدة. ولعل الأم العربية آنذاك حاولت تسليم ابنتها أهم المفاتيح التي تجلب السعادة لابنتها لو عملت وطبقت تلك التوجيهات التربوية والأخلاقية.

1- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج6، ص83.

وينظر: هاشم صالح مناع: النثر في العصر الجاهلي، ص140، 141..

أدركت المرأة العربية بتجربتها أن الأسرة كيان اجتماعي ينبغي المحافظة عليه، والعمل على سعادته وأحاطت ابنتها بوصايا كثيرة تبين فيها كيفية التعامل مع الزوج، والتذكير بوسائل سعادة الزوجين؛ ولأن تجربتها أعمق وعاطفتها أقوى، حرصت كذلك أن توصي ابنتها، فلذة كبدها.

وأبرز ما نجده من وصايا الجاهلية حول موضوع الهداء، أي الزواج، وتكاد هذه الوصايا تختص بالنساء دون الرجال، ولا غرابة في ذلك، فإن الأم أقرب إلى البنت تربوياً ونفسياً وهي أي البنت قد تحجل من أبيها في الحديث في موضوع الزواج، ولكنها أقل خجلاً من أمها، كما أن الأم أدري بمسائل الزواج وكيفية التعامل مع الزوج والأسرة بفضل تجربتها الطويلة، وحاسة الأمومة النابضة في عروقها.

تكاد وصايا الزواج تكون واحدة في مضمونها، ولا سيما في العصر الجاهلي، فضلاً عن غيره من العصور اللاحقة، فوصية أمامة بنت الحارث لابنتها في وليمة زفافها مثلاً تصل لكل زمان ومكان<sup>(1)</sup> وهكذا كانت العروس تتلقى الوصايا عن طريق الأم أو النساء المقربات، لأن هؤلاء جميعاً يحرصن على أن تكون البنت الموصاة زوجة ناجحة، سعيدة في حياتها الجديدة.

## المحاضرة الثالثة: المضمون الاجتماعي والسياسي في الرسائل الديوانية والمعاهدات:

### الرسائل الديوانية:

هي تلك الرسائل التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة، ويُعنى فيها "بأمر الدولة وشؤونها السياسية؛ ولهذا يُحرص على دقة المعلومات ومراعاة الرسوم المتعارف عليها في المكاتبات ذات الصبغة الرسمية، ومن هذا العهود والتقاليد والمناشير،... والدعوة إلى الطاعة والحثُّ على الجهاد"<sup>(1)</sup>. والرسالة بهذه الصفة السياسية هي ما نجده في قول أبي هلال العسكري "أما الكتابة فعليها مدار السلطان"<sup>(2)</sup>.

فقد كان لكل خليفة أو مَلِك كاتبه الذي يتولى الكتابة عنه، في جميع المجالات الخاصة بتلك الرسائل، ومع ذلك فهذا النوع مهما بلغ في جودته الفنيّة فإنه لا يخرج عن كونه متّصلاً بحدوث أو أمر عارض، وقلما تكون له صفة الدوام التي تهم الناس في كل زمان ومكان<sup>(3)</sup>.

ونخلص من كل ذلك إلى أنّ "الرسالة الرسمية هي ما كانت موضوعاتها تدور حول السلطة، وعلاقتها برعاياها في الأمور الدينية والدينيوية ذات الشأن، كما أنّها يجب أن تبتعد كل البعد في صياغتها عن الأساليب الشعرية، وهذا لإعطاء الكلام حقه"<sup>(4)</sup>.

### -الرسائل الديوانية:

هي رسائل تصدر عن الديوان نسبة إليه، وتسمى كذلك بالرسائل الرسمية، موضوعاتها متنوعة تشمل الرسائل التي تصدر عن تولية العهد، وتولية القضاة، والولاية، وكل ما يتصل بشؤون الرعية، كما تشمل الرسائل التي تصدر عن الخليفة أو الأمير أو الوزير إلى من هو مثله في مختلف الموضوعات التي تتضمن العهود والتقاليد وانتقال الخلافة، والدعوة إلى الطاعة، والحث على الجهاد وما إلى ذلك من موضوعات ذات طابع رسمي وإداري.

وترجح كتب التاريخ أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من أنشا ديوان الرسائل، ثم انتشر في سائر الولايات الإسلامية، وأن أول من تقلدوا هذا الديوان كانوا عربا خلص، مثل عبيد الله بن أوس، ويحيى بن يعمر، وروح بن زنباع وغيرهم، ويذهب بعض الباحثين إلى أن ديوان الرسائل عربي النشأة وليس بالفارسي

1- محمد يونس عبد العال: في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص، الشركة المصرية للنشر، لونغمان، ط1، 1996م، ص 162.

2- أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفصل إبراهيم، منشورات عيسى الباجي الحلبي وشركاه، ط2، د.ت، ص 142.

3- عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية بيروت، د.ط، د.ت، ص 449.

4- القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص 60.

ولا باليوناني، ثم نافس الأعاجم العرب في هذا الميدان، فتعلموا العربية وأتقنوها، ومنهم من تقلد ديوان الرسائل: كسالم بن عبد الله مولى هشام بن عبد الملك، وتلميذه عبد الحميد الكاتب الذي تقلد ديوان الرسائل لمروان بن محمد الأموي، فديوان الرسائل نشأ نشأة عربية خالصة، لكن في أثناء سيره أمدته روافد فارسية ويونانية<sup>(1)</sup>.

وهذه الرسائل يتبادلها الخلفاء والولاة وقادة الجيش، تصدر عن دواوين الحكم، وتعنى بأمر الدولة وشؤونها السياسية، يراعى فيها دقة المعلومات، وتهدف إلى نشر الحقائق بأسلوب هادئ واضح بعيد عن الزخرفة اللفظية. كما تتطلب هذه الرسائل ثقافة واسعة في الأدب واللغة والتاريخ، وحفظ عدد من الشواهد الشعرية والنثرية والأقوال والحكم، وآيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وصارت منذ العصر الأموي فنّ اختص به بعض الكتاب وتفرغوا له، واشتهروا به منهم: عبد الحميد الكاتب وابن العميد، والصاحب بن عباد.

### -موضوعاتها:

تطرقت الرسائل الديوانية إلى موضوعات كثيرة ومتنوعة، تتناول مختلف شؤون الدولة وما يتعلق بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود، وأخبار الولايات وأحوالها، وعهود الخلفاء لأبنائهم ووصاياهم، ووصايا الوزراء والحكام في تدبير شؤون الدولة. كما تضمنت أيضا ما يكتبه كتاب الدواوين في التهاني بما تحقق من فتوحات وظفر على أعداء المسلمين، ورسائل التهئة بالفتوحات الجديدة والانتصارات. كما تضمنت الرسائل الديوانية أوامر الخلفاء بتولية من يختارونهم من الولاة أو عزلهم، وكانت هذه الرسائل أشبه بمنشورات يوجهها الكاتب باسم الخليفة إلى عماله في الأصقاع المختلفة، ويتصل بالرسائل الديوانية ما كان يكتبه الكتّاب إلى الولاة بتوجيهات من خلفائهم يذكرونهم فيه بمسؤوليتهم في المحافظة على الأمن، ومتابعة شؤون وأحوال الرعية والعمل على استقرار الأمور<sup>(2)</sup>.

وتدور موضوعات الرسائل حول ما يلي:

-تصريف أعمال الدولة وتعيين الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهد، وتسجيل الفتوحات، ومواسم الحج والأعياد، وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والجذب ووصايا الوزراء في تدبير شؤون الحكم. بعض الأغراض كالتهئة والتعزية والشكر<sup>(3)</sup>.

1 - ينظر: حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 68.

2 - فوزي سعد عيسى: الترسل في القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، 1991، ص 27.

3- شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، ص 465.

ضبط الكتاب والأدباء القواعد التي ينبغي للكتاب أن يسيروا عليها في كتابة رسائلهم، ففتنونا حينئذ طويلاً في التحميدات التي تصدر بها الرسائل، وتذكر المصادر أن هارون الرشيد هو أول من أمر بافتتاح الرسائل بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهناك رأي يفيد أن وزيره يحيى البرمكي هو من أمر بذلك.

ومن نماذج الترسل الديواني رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب، وهي رسالة عامة موجهة إلى هذه الطائفة التي أصبح لها كيان في حياة الدولة، يقول فيها: "أما بعد. حفظكم الله يا أهل هذه الصنعة، ووفقكم وأرشدكم، فإن الله-عز وجل- جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين- صلوات الله عليهم أجمعين- سوقاً، وصرفهم في صنوف الصناعات التي سبب منها معاشهم، فجعلكم -معشر الكتاب- في أشرفها صناعة، أهل الأدب والمروءة والروية، وذوي الأخطار والهمم وسعة الذوق في الأفضال والصلة، بكم ينتظم الملك ويستقيم للملوك أمورهم، وتبديركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم، ويجمع فيهم، وتعمر بلادهم، يحتاج إليكم الملك في عظيم ملكه، والوالي في القدر السني من ولايته، ولا يستغني عنكم منهم أحد ولا يوجد كاف إلا منكم... تنافسوا معشر الكتاب في صنوف العلم والأدب، وتفقهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية، فإنها ثقاف ألسنتكم، وأجيدوا الخط، فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمون إليه بهممكم، والكاتب بفضل رأيه، وشرف صناعته، ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يجاوره وينظره، ويفهم عنه ويخاف سطوته، أولى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم أوده، من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً، ولا تعرف خطأ ولا صواباً، إلا بقدر ما يصيرها إليه سائسها أو صاحبها الراكب لها، فأدقوا-يرحمكم الله- النظر، واعملوا فيه الروية والفكر، تأمنوا ممن صحبتموه -بإذن الله- النبوة والاستثقال والجفوة، ويصيروا منكم إلى الموافقة وتصيروا منهم إلى المساواة والشفقة، إن شاء الله ولا يضعفن نظركم في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج منكم"<sup>(1)</sup>.

بدأت الرسالة بالدعاء، ثم يأتي عرض الرسالة، وأخيراً ختمها بلفظ المشيئة وهو مما تحتتم به الرسالة وقد عني عبد الحميد في أسلوب الرسالة بانتخاب ألفاظه ودقة معانيه شأنه شأن كل بليغ يحرص على جودة الصياغة وحسن الأداء، ولم يكن يحتفل بالسجع ويلتزمه، ولكنه كان ممن يميلون إلى التوازن بين العبارات والألفاظ، ويستعين بالترادف والتكرار والتقابل. ونلاحظ أيضاً أن الكاتب لجأ إلى التصوير<sup>(2)</sup>.

**القلقشندي (821هـ):**

1 - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي دار المعارف، القاهرة، مصر، ط20، 2002، ص 475.

2 - ينظر: ينظر: محمد يونس عبد العال: في النثر العربي، ص258.

هو أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل شهاب الدين الفزاري من قبيلة فزارة القلقشندي القاهري الأصل الشافعي<sup>(1)</sup> ولد في قلقشندة، وهي قرية قرب القاهرة سنة سبعمائة<sup>(2)</sup> قد نشأ نشأة حسنة، وترى تربية علمية صحيحة؛ نشأ في قلقشندة وتعلم فيها، فحفظ القرآن الكريم، ثم بعد مدة سافر إلى الإسكندرية للاستزادة في العلم والتفقه في الدين، وحصل منها على إجازة بالتدريس، وإجازة بالرواية عُرف بالذكاء والجد في التحصيل والشغف بالكتابة، وعدّها أشرف مهنة، ثم استقر، وعكف على التأليف والتصنيف، وجلس للتدريس، واستفاد منه كثير من طلبة العلم، حيث كانوا يعرضون عليه ما حفظوه، ثم اختير ليكون مُنشئ ديوان الإنشاء بالديار المصرية، وقد استمر في كتابة الإنشاء مدة طويلة وله عدد من الرسائل<sup>(3)</sup> تتلمذ القلقشندي على يد عدة من الشيوخ منهم: ابن الملحن سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن والليث بن سعدة. وقد كثرت وتنوعت آثاره ومنها:

-صبح الأعشى في صناعة الإنشاء.

-حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم.

-قلائد الجمان من قبائل العربان.

-ضوء الصبح المسفر.

-نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب.

من الملاحظ على رسائله أنه كان يلتزم المحسنات البديعية من سجع وجناس وتورية سائرا

على طريقة القاضي الفاضل. توفي القاضي شهاب الدين القلقشندي ليلة السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة(821هـ)، عن عمر ناهز خمسا وستين سنة .

**-4عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(808هـ):**

ولد في تونس عام(732هـ) هاجر مع أسرته إلى اشبيلية، وتلمذ على يد أبيه، وتوفي في القاهرة عام(808هـ) ويعد المؤسس الأول لعلم الاجتماع إضافة إلى كونه فيلسوفا مؤرخا بحاثة، تميز بسمو أخلاقه وقوة شخصيته، وأهم كتبه: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وهو في سبعة مجلدات وأهم ما فيه المقدمة وقد تميز أسلوبه بالسهولة وعدم التكلف والصنعة.

**ثانيا : العهود والمبايعات.**

1 - ينظر: السخاوي شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1، ص7.

2 - ينظر: الزركلي: الأعلام، ج1، ص177.

3 - ينظر: عمر موسى باشا: تاريخ الأدب العربي:العصر المملوكي، عمر موسى باشا، دار الفكر دمشق، ط1، 1989، ص542.

ب - الوصايا والعهود: هي نثر فنيّ اهتم به حكماء العرب في الجاهلية، يستخلص من التجارب يتميز بصدق عاطفي كبير، ويُعدّ نظر دعا إلى حرص الآباء على نقل تجاربهم إلى فلذات أكبادهم ، والوصية توجيه تربوي يُعلّم فيها الكبير الصغير كيفية التحلي بمكارم الأخلاق، ومن مميزات التأني في الأفكار العميقة المرتبة، والحكمة الرزينة، والواقعية في النَّظر إلى الحياة، وقصر الجمل، وعدم الترابط، تجمع فنيا بين اللغة المرسلة والأسلوب المسجع، والاعتماد على الإنشاء من أمر ونهي ونداء. ومن أشهر القادة والولاة في الكتابة البليغة عهد المأمون طاهر بن الحسين و له وصية طويلة أرسلها إلى ابنه عبد الله حين ولاه المأمون الرقعة سنة 207هـ تعدّ دستور الحكم القويم والحاكم الرشيد في دينه وخلقه وسيرته مع الحاشية والخاصة والجند والرعية<sup>(1)</sup>.

لقد كثرت العهود والمبايعات في العصر المملوكي، تبعاً لحاجة الدولة لها . ويُعرف العهد بأنه: رسالة من خليفة أو سلطان إلى من اختاره لولاية منصبه من بعده<sup>(2)</sup> ابناً كان أو غير ابن لولاية العهد<sup>(3)</sup>. وتُعرف المبايعة بأنها: " رسالة ديوانية تكتب للخليفة أو الملك عند قيامه أول مرة بأعباء منصبه إقراراً له ورضاً عنه<sup>(4)</sup> وكُتب العهود كانت تتضمن العهد بالإمارة أو القيادة أو القضاء، وكلها تشير إلى مهام الأمور التي سيقومون بها والآمال المعلقة عليهم لما فيه من خير البلاد والعباد<sup>(5)</sup>.

والعهد هو نمط من أنماط الرسائل السياسية. وغالباً ما يبدأ بخطبة تتضمن حمد الله عز وجل، والثناء عليه وشكره، والصلاة على رسوله الكريم، وإظهاراً لعظمة السلطنة، ومدح وتمجيد وذكر مناقب وصفات الملك المعهود إليه بالخلافة، تلك الصفات التي أهلته وساعدته على أخذ هذه المكانة وهذا المنصب، ثم يسرد العهد مع توصيته بعدة وصايا منها تقوى الله والعمل بشرعه الإسلامي وإنصاف الرعية. ومن تلك العهود عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون، عن الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان، وقد كتبه القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسراني.

وقد افتتح العهد بخطبة حمد فيها الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله الكريم، وذكر العاهد والمعهود إليه، مع نعت الأخير بصفات جليلة، ثم أبرز صفات وأسباباً جعلت محمد قلاوون أولى الناس بالخلافة من غيره، ويستمر في ذكر الصفات والمناقب التي ساعدت على حصوله على هذا المنصب، ثم ينتقل لذكر نص العهد، يستشف من نص العهد منه قوة حكم المماليك، حيث عُهدت و فُوضت إليه الخلافة برا وبحراً

1 - ينظر: الطبري: تاريخ الطبري، ج7، ص160.

2 - ينظر: محمود رزق سليم: الأدب العربي وتاريخه، ص30.

3 - ينظر: قاسم عبده : عصر سلاطين المماليك، ص125.

4 - المرجع نفسه، ص126.

5 - ينظر: محمد نبيه حجاب: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص98.

وشاماً ومصرًا وقرباً وبعداً، وما سيفتحة الله عليه من البلاد، ومن نص العهد تعرّف السلطان محمد قلاوون الأماكن التي سيقع حكمه عليها، والأعمال المنوطة به من تقليد الملوك والوزراء وتجهيز عساكر، ومحاربة أو مهادنة أعداء، ثم دعاء له بتأييد ونصر وإعانة من الله، وفي نهاية النص قد أوصى الحاكم بأمر الله السلطان محمد قلاوون بعدة وصايا تكون له معينة في حكمه، ثم ختم العهد بحمد الله والصلاة على رسوله الكريم.

### نموذج من نص العهد:

"من عبد الله وولّيه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين، إلى السلطان الأجلّ، العالم، العادل،... أبي الفتح محمد قسيم أمير المؤمنين أعز الله سلطانه، ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون، قدّس الله روحه... الحمد لله الذي اجتبي سيدنا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أشرف بيت وقبيلة، ومنح الأمة برسالته من خيري الدنيا والآخرة الوسيلة، وكنت أيتها السيد،... أولى الأولياء بالملك الشريف... مع حاجة المسلمين لتعمير الأوطان، وأعلنت السنة الأقدار بأنه لم يبق عن تقليدك الممالك الإسلامية بحمد الله تعالى عذر فاخترتك على علم العالمين، وعهد إليك في كلّ ما اشتملت عليه دعوة إمامته المعظمة، وفوض إليك سلطنة الممالك الإسلامية براً وبحراً، شاماً ومصرًا؛ قرباً وبعداً، غوراً ونجداً؛ وما سيفتحة الله عليك من البلاد، وبشراك! أنّ الله أبرم سبب تأييدك إبراماً لا تصل الأيدي إلى نقضه، وأنتك سئلت عن أمر طالما أتعب غيرك سؤاله في بعضه، وأن الله يُحسن لك العون وبك الصّون، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها. والوصايا كثيرة وأولها تقوى الله... وأما العدل فإنه للبلاد عمارة، وللسعادة أمانة، وللآخرة منجاة من النفس الأمارة؛ فليكن له شعارا ودثارا والحدود الشرعية فليحل بإقامتها لسانه، ولا يتعدّها بنقص ولا زيادة وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد محمد وآله وسلامه، حسبنا الله ونعم الوكيل" (1).

### خصائص بناء الترسل:

عرف البناء الهيكلي للرسالة تطورات مختلفة خلال مسيرته في تاريخ الأدب العربي، منذ رسالة عبد الحميد إلى الكتاب إلى موسوعة أبي العباس الفلقشندي مروراً بغيرهما من المؤلفات التي نظرت لهذا اللون الأدبي، وعن هذا الاختلاف يقول الكلاعي: "ونظرت - أعزك الله - في صور الرسائل واستفتاحاتها فوجدتها أيضاً تختلف" (2) ومقدمات الرسائل تشتمل عادة بعد البسملة والصلاة على النبي، وتختلف استفتاحات الرسائل، ويختار الاستفتاح المناسب لمنزلة المرسل إليه فقد يذكر مقدماً عن المرسل بصيغة: لفلان من فلان.

1 - الفلقشندي: صبح الأعشى، ج10، ص59.

2- أمانة الدهري: الترسل الأدبي بالمغرب النص والخطاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالحمدية، المغرب، ط1، 2003، ص381.



وقد يؤخر ذكره فيكتب: من فلان لفلان، وتكون في حالات أخرى بإيراد كنية المرسل إليه أو رتبته، غير أن كل الاستفتاحات، كأن يراعى فيها الجودة والحسن والبراعة لأنها تقع في البداية وهي أول ما يترك السمع من الكلام، فيكون داعية للنشراح، وإثارة انتباه المتلقي. وقد كان يُلجأ إلى المنظوم، فتبدأ الرسالة بأبيات شعرية لكاتبها أو لغيره تدل على المضمون العام لها، وتختصره في كلماتها، وكثيراً ما يلجأ الكتاب إلى الإشارة إلى غرض الرسالة في مطالعه، ومقدماتها.

وفي المضمون ينتقل كتاب الرسائل إلى المراد من رسائلهم وبجسّن تخلص لطرق الموضوع الذي يريدون معالجته في رسائلهم، وغالبًا يقع حسن التخلص بصيغة: أما بعد وهي وقفة بين الابتداء والشروع في الموضوع المراد ذكره في الرسالة، وقد تنوعت المضامين في الرسائل بنوعيتها الإخواني والديواني، ومست مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية، فكان كتاب الدواوين يكتبون بتولية القادة والقضاة والأمراء، ويكتبون بمناسبة نصر جيوش المسلمين والتهنئة بذلك.

## المحاضرة الرابعة: المضمون الاجتماعي والأخلاقي في المقامات- نص بديع الزمان- نص الحريري-

### المقامات:

لقد خطا النثر العربي في العصر العباسي خطوات جبارة، وذلك بفعل عدة عوامل ساهمت في رقيه وازدهاره، إذ شجع الخلفاء الحركة العلمية وعملية الترجمة والنقل من الأمم الأخرى، فالتسعت دائرة الفنون واستحدثت فيها ألوان جديدة، فظهر إلى الوجود ما عرف حينها بفن المقامة، هذا الفن الذي أثرى الفنون النثرية والأنواع المعروفة آنذاك.

ومصطلح المقامة في معاجم اللغة عند العرب يحمل عدة معان أشهرها: المجلس، الحديث، الخطبة، الجماعة... يقول ابن منظور: "المقامُ والمقامَةُ الموضع الذي تقيم فيه، والمقامَةُ بالإقامة، والمقامَةُ بالفتح: المجلس والجماعة من الناس"<sup>(1)</sup>. ولقد وردت في قول الشاعر العربي لبديع بن ربيعة العامري:

عقّت الديار محلها فمقامها      بمنى تأبد غولها فرجامها

ومعنى مقامها في البيت الشعري الموضع، واستعملها زهير بن أبي سلمى بمعنى السادة في قوله:  
وفيهم مقامات حسان وجوههم      وأندية ينتابها القول والفعل<sup>(2)</sup>.

والملاحظ من التعريفات اللغوية لمصطلح المقامة أن المقامة هي المجلس الذي يجتمع فيه الناس لسماع ما يدور فيه من حديث، وأخبار، وقصص، وأشعار، ثم تطور هذا المعنى عبر العصور الأدبية حتى أصبح في القرن الرابع الهجري يطلق على فن معين قائم بذاته له قواعده وأصوله على يد بديع الزمان الهمداني.

والمقامة في الأصل المجلس، ثم أطلقت على ما يحكى في جلسة من الجلسات على حكاية ذات أصول فنية، وفي الاستعمال الأدبي: هي قصة قصيرة خيالية، أنشئت بعبارات مسجوعة غالبا، محلاة بأنواع البيان والبديع، يسودها حوار درامي تحتوي على مغامرات، يرويها راو عن بطل، قد يكون هذا البطل شجاعا يقتحم أخطارا وينتصر فيها، وقد يكون ناقدا اجتماعيا أو سياسيا أو فقيها متضلعا في مسائل الدين أو مسائل اللغة، لكنه في كل الحالات تقريبا متسول ماكر ولوع بالملذات مستهتر، يحتال للحصول على المال ممن يخذعهم، ثم هو دائما أديب يجيد في أسلوبه عن بديهة وارتجال<sup>(3)</sup>.

يدور موضوع المقامة حول حدث واحد متخيل، وشخصياتها الثانوية محدودة، ويؤدي دور البطولة فيها بطل محتال جواب أفاق، ويشاركه راوية يتعرف إليه إثر كل مغامرة ويرويها عنه، وتقع أحداثها في

1 - ابن منظور: لسان العرب م12، ص498.

2 - عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (دت)، ص476.

3 - ينظر: مارون عبود: أدب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2014، ص235.

حدود مدينة أو منطقة واحدة، وفي زمن لا يتجاوز مقدار يوم وليلة، وهي بذلك تعد عملاً أدبياً يتخذ القلب القصصي طابعاً عاماً، ولغة المقامة تميل إلى السجع، ولها راو وبطل<sup>(1)</sup>».

#### - مؤثرات كتابة المقامة:

أ- مؤثرات فنية: هي قصص الوعاظ وأحاديث الأعراب التي تقوم على الكدية ووصف الجوع والفقير، والحكايات التي سجلها الجاحظ في غير كتاب من كتبه، وكلها تدور حول البخلاء والمكدين واللصوص والظرفاء والشطار.

ب- مؤثرات اجتماعية: هي عصر بديع الزمان الهمداني الذي كثر فيه أهل الكدية، وظهر الساسانيون، وهم طائفة تنسب إلى ساسان أحد أبناء فارس، يقال: إن أباه حرمه من الملك، فهام على وجهه محترفا الكدية، وقد صورت المقامات حياة هؤلاء الأدباء الذين كانت لهم مكانة أدبية في ذلك العصر، وهذا يعني أن بديع الزمان قد ابتكر فن المقامة في إطار هذه المؤثرات<sup>(2)</sup>.

#### - المقامة عند بديع الزمان الهمداني (398هـ):

المقامة كتابة يغلب عليها السجع وحوشي الألفاظ وغريبها، إضافة إلى غناها بالصور البيانية والمحسنات البديعية، والهدف الرئيسي من تأليفها هو تعليم الناشئة غريب اللغة وفنون القول، إضافة إلى كونها وسيلة ناجعة من وسائل النقد الاجتماعي، لمعالجة بعض الأمراض التي تفشت في عضد الدولة الإسلامية، وذلك في إطار من المغامرات الهزلية المضحكة<sup>(3)</sup>.

راوية المقامات عند الهمداني هو عيسى بن هشام الذي يستهل المقامات بعبارة (حدثنا عيسى بن هشام) وهو رجل أسفار وترحال وتجارة واحتيال، يتحدث عن اغترابه ومصادفته لأبي الفتح الإسكندراني بطل هذه المقامات، وهو رجل علم وثقافة، يقول الشعر، ويسلك أوعر المسالك في اللغة والأدب والنقد، يجتال على دهره القاسي بشتى الطرق، فتارة يكون خطيباً، وتارة مشعوذاً، وقد حمله زمنه القاسي على هذا السلوك، فتصعلك وتسول وامتهن الكدية وتحول في مختلف البلدان وتقلب مع تقلبات الزمان<sup>(4)</sup>.

تأخذ المقامة شكل القصة الفنية غالباً، وتقوم على السرد والوصف وتحليل الشخصيات، وهي تخلو من العقدة بالمعنى الفني، بل تقوم على الأزمة التي تجد حلاً سريعاً، ومن ثم يغلب عليها الإمتاع والتشويق<sup>(5)</sup>.

1 - سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2011، ص 1، ص 127.

2- سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، ص 229.

3 - محمد التنوحي: المعجم المفضل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1993، ص 1، ص 817.

4 - سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، ص 130.

5 - المرجع نفسه، ص 132.

يستخدم الهمذاني في مقاماته الشعر، إما يقتبسه أو ينشئه هو بحد ذاته، و"شعره سهل واضح المعاني - في الغالب- يخالف لغة نثر المقامات في أنه لا يسايرها في الألفاظ الغريبة التي كثرت في بعضها، ويتسم شعره أيضا بالتصوير بما فيه من قدرة على الوصف وإبراز للحركة. ويعتمد على الأوزان الخفيفة والمجزوءة، وذلك حتى تناسب جو الفكاهة ويسهل على الأذن استماعها وأغلب شعره مقطوعات قصيرة»<sup>(1)</sup>.

### المقامة عند الحريري:

صرح الحريري القاسم بن علي بن محمد بن عثمان (ت516هـ) أنه كتب مقاماته معارضة لمقامات بديع الزمان الهمذاني الذي كتب أكثر من أربع مئة مقامة، لم يبق منها إلا اثنتان وخمسون مقامة. وقد كتب الحريري مقاماته سالكا فيها مسلك الهمذاني، من حيث وجود شخصيتي الراوي الحارث ابن همام والبطل أبو زيد السروجي.

وقد أملى الحريري مقاماته على لسان السروجي وهو من أهل الكدية الذين امتهنوا التسول، وكانت وسيلته في ذلك فصاحة لسانه وسحر بيانه، وهو يظهر في كل المقامات، وغالبا ما تساعد زوجته وولده، وهما يشاكلانه في الخداع والخبث والفصاحة، أما الراوي الحارث بن همام فهو رحالة أبيض النفس بعيد عن مسالك اللصوص، ولكنه يصاحب أبا زيد ويتعاون معه، لكنه يقلع عن الاحتيال ويتنسك ويتوب توبة نصوحا، ويفارق راويته في المقامة الأخيرة<sup>(2)</sup>.

وتتكون كل مقامة عند الحريري من مقدمة، عرض، خاتمة، أما المقدمة فتدور حول فكرة واحدة، ولكنها ترد في صيغ لغوية مختلفة، تتضمن فكرة المطاردة بين الراوي والبطل، يظهر البطل فجأة وفي أماكن متباعدة قد تكون في المشرق أو في المغرب، والراوي يتابعه ولا يمل، ويصحب ظهور البطل مظهر غريب يشد الانتباه ويثير التشويق، ويحدث الشيء نفسه مع الخاتمة، إذ يبقى القارئ دائما مبهورا.<sup>(3)</sup> وتدور موضوعات مقامات الحريري حول الاحتيال بطرق شتى، فتارة تأخذ شكلا دينيا وخلقيا كما في المقامة الصنعانية، وتارة شكلا أدبيا وفكاهيا كما في المقامة القطيعية والواسطية، وتارة أخرى شكلا مجونيا كما في المقامة الرحبية.

وتحتوي هذه المقامات على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغر البيان ودرره، ومُلح الأدب ونوادره، فضلا عن الأبيات والأمثال والأحاجي واللطائف والخطب والرسائل والمواعظ<sup>(4)</sup>. ورغم أن الحريري

1- علي محمد السيد خليفة: الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط2010، ص1، ص134.

2 - ينظر: سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، ص251.

3 - ينظر: إبراهيم عبد الحميد: الأدب المقارن من منظور الأدب العربي، دار الشرق، لبنان، ص35.

4 - ينظر: سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، ص253.

قلد الهمداني إلا أنه "تفوق عليه، فخطا بهذا الجنس الأدبي خطوات لم يبلغ فيها شأوه أحد من الذين قلده، قبل عصرنا الحديث"<sup>(1)</sup>.

## المضمون الاجتماعي والأخلاقي في المقامات:

المقامة كتابة يغلب عليها السجع وحوشي الألفاظ وغريبها، إضافة إلى غناها بالصور البيانية والمحسنات البديعية، والهدف الرئيسي من تأليفها هو تعليم الناشئة غريب اللغة وفنون القول، إضافة إلى كونها وسيلة ناجعة من وسائل النقد الاجتماعي، لمعالجة بعض الأمراض التي تفتشت في عضد الدولة الإسلامية، وذلك في إطار من المغامرات الهزلية المضحكة<sup>(2)</sup>.

راوي المقامات عند الهمداني هو عيسى بن هشام الذي يستهل المقامات بعبارة (حدثنا عيسى بن هشام) وهو رجل أسفار وترحال وتجارة واحتيال، يتحدث عن اغترابه ومصادفته لأبي الفتح الإسكندراني بطل هذه المقامات، وهو رجل علم وثقافة، يقول الشعر، ويسلك أوعر المسالك في اللغة والأدب والنقد، يجتال على دهره القاسي بشتى الطرق، فتارة يكون خطيبا، وتارة مشعوذا، وقد حملة زمنه القاسي على هذا السلوك، فتصعلك وتسول وامتهن الكدية وتحول في مختلف البلدان وتقلب مع تقلبات الزمان<sup>(3)</sup>.

تأخذ المقامة شكل القصة الفنية غالبا، وتقوم على السرد والوصف وتحليل الشخصيات، وهي تخلو من العقدة بالمعنى الفني، بل تقوم على الأزمة التي تجد حلا سريعا، ومن ثم يغلب عليها الإمتاع والتشويق<sup>(4)</sup>. يستخدم الهمداني في مقاماته الشعر، إما يقتبسه أو ينشئه هو بحد ذاته، و"شعره سهل واضح المعاني - في الغالب - يخالف لغة نثر المقامات في أنه لا يسايرها في الألفاظ الغريبة التي كثرت في بعضها، ويتسم شعره أيضا بالتصوير بما فيه من قدرة على الوصف وإبراز للحركة. ويعتمد على الأوزان الخفيفة والمجزوءة، وذلك حتى تناسب جو الفكاهة ويسهل على الأذن استماعها وأغلب شعره مقطوعات قصيرة"<sup>(5)</sup>.

صرح الحريري القاسم بن علي بن محمد بن عثمان (ت516هـ) أنه كتب مقاماته معارضة لمقامات بديع الزمان الهمداني الذي كتب أكثر من أربع مئة مقامة، لم يبق منها إلا اثنتان وخمسون مقامة. وقد كتب الحريري مقاماته سالكا فيها مسلك الهمداني، من حيث وجود شخصيتي الراوي الحارث ابن همام والبطل أبو زيد السروجي.

1 - محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص226.

2 - محمد التنوحي: المعجم المفضل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص817.

3 - سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، ص130.

4 - المرجع نفسه، ص132.

5-علي محمد السيد خليفة: الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط2010، ص134.

وقد أملى الحريري مقاماته على لسان السروجي وهو من أهل الكدية الذين امتهنوا التسول، وكانت وسيلته في ذلك فصاحة لسانه وسحر بيانه، وهو يظهر في كل المقامات، وغالبا ما تساعد زوجته وولده، وهما يشاكلانه في الخداع والخبث والفصاحة، أما الراوي الحارث بن همام فهو رحالة أُنِي النفس بعيد عن مسالك اللصوص، ولكنه يصاحب أبا زيد ويتعاون معه، لكنه يقلع عن الاحتيال ويتنسك ويتوب توبة نصوحا، ويفارق راويته في المقامة الأخيرة<sup>(1)</sup>.

وتتكون كل مقامة عند الحريري من مقدمة، عرض، خاتمة، أما المقدمة فتدور حول فكرة واحدة، ولكنها ترد في صيغ لغوية مختلفة، تتضمن فكرة المطاردة بين الراوي والبطل، يظهر البطل فجأة وفي أماكن متباعدة قد تكون في المشرق أو في المغرب، والراوي يتابعه ولا يمل، ويصحب ظهور البطل مظهر غريب يشد الانتباه ويثير التشويق، ويحدث الشيء نفسه مع الخاتمة، إذ يبقى القارئ دائما مبهورا.<sup>(2)</sup> وتدور موضوعات مقامات الحريري حول الاحتيال بطرق شتى، فتارة تأخذ شكلا دينيا وخلقيا كما في المقامة الصنعانية، وتارة شكلا أدبيا وفكاهيا كما في المقامة القطيعية والواسطية، وتارة أخرى شكلا مجونيا كما في المقامة الرحبية.

وتحتوي هذه المقامات على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وعر البيان ودرره، ومُلح الأدب ونوادره، فضلا عن الأبيات والأمثال والأحاجي واللطائف والخطب والرسائل والمواعظ<sup>(3)</sup>. ورغم أن الحريري قلد الهمذاني إلا أنه "تفوق عليه، فخطا بهذا الجنس الأدبي خطوات لم يبلغ فيها شأوه أحد من الذين قلدوه، قبل عصرنا الحديث"<sup>(4)</sup>.

من المعلوم أن الأدب ظاهرة اجتماعية، بحكم طبيعة الإنسان الذي يبدعه ويتعامل معه، وأن ثمة علاقة وثيقة بين الأدب والمجتمع، وهي علاقة تتسم بأنها تبادلية، بمعنى أنه لا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، وإنما يرفد كل منهما الآخر ويغذيه؛ ذلك أن «للأدب انعكاسات اجتماعية عديدة، وهو في حد ذاته يعد انعكاسًا اجتماعيًا حتى في أكثر موضوعاته خصوصية، فهو نشاط اجتماعي قبل أن يكون نشاطًا لغويًا، حتى اللغة تفسر من منظور اجتماعي قبل أن تفسر من منظور آخر .

ولا يخفى أن الأدب يمنح المجتمع ويطوره وينميه، ويحاول أن يدفع به إلى الأمام، والمجتمع يهيئ الجو والبواعث للأدب، ويوفر له مادة الإبداع الخام، فالأديب يمتاح تجاربه من المجتمع متأثرًا به، وفي الوقت ذاته

1 - ينظر: سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، ص 251.

2 - ينظر: إبراهيم عبد الحميد: الأدب المقارن من منظور الأدب العربي، دار الشرق، لبنان، ص 35.

3 - ينظر: سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، ص 253.

4 - محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 226.

يفرغ هذه التجارب في المجتمع، ويؤثر فيه؛ لأنه يعيد صنع هذه الصورة الاجتماعية بالشكل والوجه الذي يريد.

والمقامة بوصفها أحد الفنون الأدبية الثرية تشكل رصيماً حقيقياً للحياة الاجتماعية بكل أبعادها وأشكالها، وترجمة أمينة لتصورات الناس في الحياة، وتصرفاتهم والعلاقات التي تنظم شئونهم، فقد أعطت فكرة عن طبيعة الأوضاع الاجتماعية المختلفة، وما كان يسود المجتمع من ألوان المحن، وما تخلفه تلك الأزمات من أصداء وآثار في نفوس الناس.

## -المحاضرة الخامسة: المضمون الأدبي والفني في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد.

ابن شهيد(426هـ):

هو أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين الأعلى أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الأشجعي الأندلسي القرطبي، ابن شهيد هو وزيرٌ وشاعرٌ وأديبٌ أندلسي ، وُلد سنة 382هـ بقرطبة، في خلافة هشام بن الحكم، ونشأ في كنف أسرة من أصحاب المناصب المرموقة في الدولة الأموية بالأندلس، فجدّه عيسى بن شهيد كان حاجبًا للأمير عبد الرحمن بن الحكم، وجدّه أحمد بن عبد الملك كان من قادة ووزراء الخليفة الناصر لدين الله، وهو أول من سُمّي بذوي الوزارتين في الأندلس، وكان أبوه عبد الملك وزيرًا في عهد الخليفة هشام المؤيد بالله، وكان من ندماء الحاجب المنصور.

فنشأ مُكَلِّلاً بهالة من الوجاهة الاجتماعية، ومُتمرِّغاً في الترف والنعيم، واستعمله عبد الرحمن المستظهر الأموي وزيراً فترة حكمه، وقد نبغ في اللغة والشعر والأدب، واعتبره البعض أرسخ أهل الأندلس في الأدب، كما اشتهر بالجود والكرم، وحسن الجوار، ولما ضاقت به الأحوال كان يتكسّب بشعره في المدح.

يقول فيه شوقي ضيف: كان ابن شهيد كاتبًا وأديبًا كبيرًا، بقدر ما كان شاعرًا مجيدًا، وقد شهد له النقاد بتميزه في فن النثر أكثر من الشعر، وأثنوا على تفوقه فيه. ويقول المؤرخ حازم عبد الله خضر عن ابن شهيد الأندلسي: كان له باعًا طويلًا في الجانب الأدبي، وكانت له بصمات لا يستهان بها، كانت شاهدةً على مدى ثقافته الواسعة، وسعة إطلاعه، وقد استعرض قدراته وثقافته في تطرقه لشتى الموضوعات، ونحسب أن توفيقه في فن النثر تجاوز ما حالفه من توفيق في فن الشعر. وقد وصف أبو النصر بن خاقان قدراته الإبداعية قائلاً: توغل في شعاب البلاغة وطرقها، وأخذ على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها، لا يقاومه عمرو بن بحر. ومن مؤلفاته: حانوت عطار، وله جملة من الرسائل الأدبية، التي كتبها ابن شهيد في وصف بعض عناصر الطبيعة، مثل: رسالة وصف البرد والنار والحطب، ورسالة تدور حول وصف الحلوى وأصنافها، وله وصف للماء وغير ذلك وأما رسائله في وصف المخلوقات فمنها: وصفه للبرغوث ووصفه للبعوضة، ووصفه للثعلب، وله وصف لجارية إلى غير ذلك من الأوصاف القصيرة في كتاب الخريدة لابن بسام.

### رسالة التوابع والزوابع:

رسالة التوابع والزوابع رسالة نثرية خاطب فيها ابن شهيد صديقه أبا بكر بن حزم وعرض فيها أروع نتاجه الشعري والنثري، وقرنه إلى نتاج كبار أدباء المشرق مبيناً تفردّه وتفوّقه، وعرض بخصومه وحسناده من معاصريه الأندلسيين والقرطبيين.



و"التّوابع والزّوابع" قصّة رحلةٍ خياليّةٍ إلى عالم الجنّ قام بها ابن شهيد مع تابع اسمه زهير بن مُمير ولقي شياطين المشرق وكتّابهم، وجرت بينه وبينهم مطارحات أدبيّة، ومناقشات لغوية تجلّت فيها آراء ابن شهيد النقديّة، وانتزع اعترافهم بتفوّقه وجودة أدبه، فضلاً عن الفكاهات والطّرف وروح الدّعابة التي سرت في هذه الرسالة.

### مضمونها الفني:

رسالة أدبية، كتبها أبو عامر أحمد ابن عبد الملك بن شهيد القرطبي الأندلسي وهي قصة خيالية تحكي عن رحلة في عالم الجن. يلتقي البطل خلالها بشياطين الكتّاب، فيحاورهم ويحاورونه. ويخلص من ذلك إلى سمات نقدية وأدبية محدودة.

تنقسم الرسالة إلى مجالس أربعة هي: 1- مجلس الشعراء 2- مجلس الكتّاب 3- مجلس أدبي نقدي 4- مجلس أدبي ساخر يلتقي فيه بحيوانات أدبية.

ينص ابن شهيد على أن رسالته موجهة إلى من كتّاه بأبي بكر، وكيف أن أبا بكرٍ تعجب من عبقريته وعلمه، فأقسم أن هذه الروح لابن شهيد، تصدر عن أدب فوق قدرة الإنسان، ومن ثم فإن لها تابعاً يمدّها ويعينها. وتتخذ رحلة بطل التوابع والزوابع مساراً تاريخياً في لقائه بتوابع الشعراء في المجلس الأول، ابتداء من العصر الجاهلي والأموي والعباسي. فيحاور عدداً من توابع الفحول كامرئ القيس وطرفة وأبي تمام والبحثري وأبي نواس والمتنبي. ويتجاوز عصر صدر الإسلام إذ لا يرى فحولاً بين شعرائه. وهو يوفق بين البعد الجسمي والفكري، ليستخرج نفسية الشاعر وذاته، فيرسم له صورة قلمية في ضوء ما ورد من أخباره. وهو أبداً ينتزع شهادات الإجازة بشاعريته من هؤلاء الفحول، فهو لا ينشدهم، إلا في تلك الأغراض التي اشتهروا بها، وذاع صيتهم فيها.

وفي المجلس الثاني وهو مجلس الكتّاب، يقدم ابن شهيد رؤية جديدة؛ وهي أن للكتّاب شياطين كما للشعراء شياطين. ويعتمد النهج التاريخي هنا؛ حيث يبدأ بالجاحظ شيخ الأدباء، ويحاور عبد الحميد الكاتب وبديع الزمان الهمداني، ويساجلهم في قضايا تتصل بالسجع والمزاوجة، وتتصل بقضايا الأساليب والبيان. ويخلص إلى انتزاع شهادات بإجازتهم له وتفوقه عليهم.

أما المجلس الثالث فيبين ابن شهيد من خلاله طائفة من القضايا النقدية التي كانت تشغل ذوق العصر ومن أهمها قضية السرقات، فيوضح رؤيته النقدية المتميزة في هذا المقام ويستشهد عليها.

وفي المجلس الأخير ينتقل ابن شهيد وتابعه إلى أرض بها حيوانات من الجن، ويكشف هذا المجلس عن حس ابن شهيد الساخر؛ حيث يحكم في قطعتين شعريتين غزليتين لبغل محب وحمار عاشق. وتنتهي الرسالة بحوار

ابن شهيد مع الأوزة التي رأى أنها تابعة لبعض شيوخ اللغة، وأرادت أن تناظره في النحو والغريب ، فأعرض عنها وزجرها لسخفها وحمافتها.

وتعد رسالة التوابع والزوابع مَعْرُضًا، يقدم ابن شهيد من خلاله صورة للأدب والأدباء في عصره؛ كما يظهر براعته بانتقادهم والسخرية منهم؛ فيضع نفسه في المكانة الأدبية التي لم ينلها بين معاصريه. فالرسالة بذلك رد عملي ينافح به ابن شهيد عن عبقريته ونبوغه، حين انتقص خصومه وحساده من مكانته. فهدف الرسالة إرضاء ذاته المتفوقة، ثم إظهار براعته وبلاغته بالنيل من الخصوم والأعداء؛ لذلك كانت السخرية المبررة الشرسة أداة من أقوى أدواته. ثم تضمنت الرسالة آراءه النقدية في الشعر والنثر، التي بسببها اكتسب عداوة معاصريه. وأهم معيار نقدي لديه أن البيان ليس من عمل المعلمين أي المؤدبين، وأنه نفسٌ من الرحمن لا تقوم به دراسة النحو أو غريب اللغة ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ (الرحمن(4،1) . وفحوى نظريته النقدية أن البون شاسع بين الموهبة والاكتساب.

ومن أهم سمات أسلوبه القصصي حظه من الخيال. فخياله قوي خلاق تحفُّه طائفة من الصور الدقيقة الوصف مع عناية بتصوير الأخلاق والأشكال في إطار من التحليل النفسي. وقد اهتم بالأوصاف الدقيقة وكأنه، دون أن يشعر، يعوض عن ضعف حاسة السمع لديه فهو يكثر من الصور المتحركة والمسموعة.

كما كان عنصر التشويق أداة من أدوات أسلوبه، بجانب الاستطراد الذي يقتضيه السياق القصصي، فضلاً عن ظاهرتي الحوار الداخلي والمباشر. وتزخر الرسالة بروح الفكاهة والإضحاك بما يضع ابن شهيد في مكانة بارزة في دنيا السخرية والطرفة.

ومن المرجح أن ابن شهيد استوحى موضوع الرسالة متأثرًا بقصة الإسراء والمعراج، كما تأثر بها الإيطالي دانتي، في رسالته الكوميديا الإلهية. وهذا باب طويل في الأدب المقارن. ويمائل التوابع والزوابع في المشرق رسالة الغفران لأبي العلاء المعري. فالكاتبان يلتقيان معًا في الخيال والأوصاف والسخرية والإضحاك، ولكنهما يختلفان في اللغة. فلغة المعري لا تخلو من تعقيد وإغراب وسجع ملتزم، ولغة ابن شهيد سلسلة طيبة بعيدة عن التكلف والصنعة، تزوج تارة، وتسجع أخرى وتسترسل ثالثة، ففيها لكل مقام مقال. ولئن اتفقت الرسالتان في عرضهما للمشكلات الأدبية في قالب قصصي، وتوجيه النقد للمعاصرين، فقد اختلفتا في الإعراب عن مؤلفيهما؛ حيث شقَّت التوابع عن أديب فنان على حين شقَّت الغفران عن أديب عالم.

-نصّ قصة تابع امرئ القيس:

النّص الذي بين يدي ما هو إلّا قصة جمالها في نسج أسلوبها، ودقّة ألفاظها، وبُعد مراميها الفكرية والحضارية والفنية، وقد جعل ابن شهيد بدايتها: "تذاكرت يوماً مع زهير بن نمير أخبار الخطباء والشعراء،

وما كان يألفهم من التوابع والزوابع، وقلت: هل حيلةٌ في لقاء من اتفق منهم؟ قال: حتى أستاذن شيخنا، وطار عني، ثم انصرف كلمح البصر، وقد أذن له، فقال: حلّ على متن الجواد، فصرنا عليه، وسار بنا كالطائر، يجتاب الجو فالجو، ويقطع الدوّ فالدوّ، حتى التمحت أرضاً لا كأرضنا، وشارفت جواً لا كجونا.

متفرغ الشجر عطر الزهر، فقال لي: حللت أرض الجرنّ أبا عامر، فبمن تريد أن نبدأ؟

قلت: الخطباء أولى بالتقديم لكنني إلى الشعراء أشوق. قال: فمن تريد منهم؟ قلت: صاحب امرئ القيس. فأمال العنان إلى وادٍ ذي دوح تتكسر أشجاره، وتترنم أطيّاره، فصاح: يا عتيبة بن نوفل بسقط اللوى فحومل، ويوم دارة جلجل، إلا ما عرضت علينا وجهك، وأنشدتنا من شعرك وسمعت من الإنسي، وعرفتنا كيف إجازتك له!

فظهر لنا فارسٌ على فرس شقراء كأنها تلتهب، فقال: حياك الله يا زهير، وحيا صاحبك! أهذا

فتاهم؟ قلت: هو هذا، وأي حمرة يا عتيبة! فقال لي: أنشد، فقلت: السيد أولى بالإنشاد.

فتطامح طرفه، واهتزاز عطفه، وقبض عنان الشقراء، وضربها بالسوط، فسمت تحضر طولاً عنّا وكرّ، فاستقبلناه بالصعدة هائلاً لها، ثم ركزها، وجعل يُنشد:

سما لك شوقٌ بعد ما كان أقصرا

حتى أكملها، ثم قال لي: أنشد، فهممت بالحیصة، ثم اشتدت قوى نفسي، وأنشدت:

شجته مغانٍ من سليمي وأذوُر

حتى انتهيت فيها إلى قول:

ومن قُبّةٍ لا يدرك الطّرفُ رأسها      تزلُّ بها ريحُ الصبّا، فتحدّر

تكلّفْتُها، والليلُ قد جاشَ بجره      وقد جعلت أمواجهُ تتكسّر

ومن تحت حضني أبيضٌ ذو سفاسقٍ      وفي الكفّ من عسالة الخيط أسمر

هما صاحباي من لدن كنتُ يافعاً      مُقبِلانٍ من جدّ الفتى حين يعثر

فذا جدولٌ في الغمدِ تُسقى به المنى      وذا غصنٌ في الكفّ يجني، فيثمر

فلما انتهيت تأملني عتيبة، ثم قال: اذهب، فقد أجزئتك، وغاب عنا."

والنصّ هو قصّة رحلة خياليّة قام بها ابن شهيد مع زهير بن نمير للقاء تابع امرئ القيس هذا اللقاء يقدم فيه ابن شهيد نتاجه الشعري، لينال إجازة من تابع امرئ القيس.

**البناء الفني للقصّة وجماليّات الأسلوب:**

نسج ابن شهيد قصته جاعلاً بدايتها لقاء مع زهير بن نمير فيه تمت إعادة ذكريات من التوابع

والزوابع، هذه البداية هي بمنزلة العقدة الرئيسة في القصّة التي انطلقت من خلالها الأحداث، وعلى منوال

هذه البداية نسج ابن شهيد قصته لرغبة في نفسه، هي شوقه وتوقه للقاء تابع امرئ القيس، هذا الشوق يوحى باللون الأحمر المعبر عن تعطشه للقاء ذلك التابع كي يحظى بإجازة منه.

وابن شهيد يمثل شخصية البطل في هذه القصة، كما يمثلها في أغلب قصصه، فهو البطل والزّاوي، بعكس ما هي عليه الحال في الملاحم، إذ تقوم أبطال القصة بالقول والفعل، ويبقى الزّاوي خلف الستار الدّاتي يراقب الأحداث وتطوّراتها.

وتأتي شخصية زهير لتكون ظلاً لشخصية ابن شهيد إذ ترافقه أينما توجه، وحيثما حلّ وتسهم في إغناء مقدّمة القصة من خلال الحوار الذي دار بينهما، والذي دلّت عليه المفردة تذاكرت) التي توحى للوهلة الأولى بتداعي شريط من الذّكريات، وقد حدّدت ماهيته ضمن السيّاق عن طريق التّصريح بأنّ التّداعي مرتبط بالتراث القديم.

وفي الحوار يبدو سلوك ابن شهيد الحضاري في تساؤله، وهذا التساؤل يوحى بتواضعه والتّواضع يرتبط بوقار العلماء وجلالهم، وهذا السلوك هادئ لوقار صاحبه، هذا الوقار اكتسبته نفسيته من أدبي النفس والدّرس اللذين نهلها من منابع الثقافة، ومجالس الخلافة، فقد نشأ نشأة مترفة في زمن المنصور، وكان بعد ذلك على صلة بخليفتين هما يحيى بن حمّود والمستظهر.

ولا عجب أن يظهر سلوكه في ألفاظه لأنّ الإنسان ابن البيئة، وقد كان للبيئة دور بارز في تكوين شخصيته، وصقل مواهبه. وهدوء النفس يرتبط بسياق القصة من خلال التركيب اللغوي الذي تتألف فيه العبارات محافظة على الوحدة العضوية عن طريق العبارة الدّالة على السلوك تارة، ومن خلال اللفظة المنسجمة مع التعبير والملائمة للجو تارة أخرى.

وهو العمل الأدبي الأكثر شهرة، من بين أعماله وهي رحلة خيالية إلى عالم الجن، عرض فيها أبو عامر إنتاجه من المنظوم والمنثور، على توابع الشعراء والكتاب العرب المشاهير، مستعرضاً آراء هؤلاء، مظهراً منهم الاعتراف له بالإجادة، بل يومئ أحياناً إلى تفوقه على بعضهم، بالإضافة إلى ما في هذا العمل من آراء أبي عامر في مختلف القضايا النقدية المطروحة في ذلك الوقت، كما سخر في هذه الرسالة ممن كان يكيد له الحقد والحسد من أهل عصره، ومن العصر وما ساد من فساد آنذاك.

### البعد الاجتماعي والإصلاحي:

من بين أعماله وهي رحلة خيالية إلى عالم الجن، عرض فيها أبو عامر إنتاجه من المنظوم والمنثور، على توابع الشعراء والكتاب العرب المشاهير، مستعرضاً آراء هؤلاء، مظهراً منهم الاعتراف له بالإجادة، بل يومئ أحياناً إلى تفوقه على بعضهم، بالإضافة إلى ما في هذا العمل من آراء أبي عامر في مختلف القضايا النقدية

المطروحة في ذلك الوقت، كما سخر في هذه الرسالة ممن كان يكيد له الحقد والحسد من أهل عصره، ومن العصر وما ساده من فساد آنذاك.

مما لا شك فيه أن ابن شهيد ناقد، نافذ البصيرة، ذو حساسية نقدية عالية، أحس نقائص ومتناقضات العصر والمجتمع وأفراده، فسخر من تلك الأوضاع وانتقدها، لكن لم يكن لمجرد السخرية في حد ذاتها، أو لمجرد إشباع حاجاته الروحية وإراحة نفسه بتلك السخرية فقط، بل كان لسخريته بعد أسمى من ذلك ألا وهو البعد الاجتماعي والإصلاحي، الذي نلمحه في الكثير من مواضع السخرية في النص، فكان التعرض لتلك المتناقضات في المجتمع وأفراده الخارجين عن القوانين المألوفة، من أجل ردعهم وردهم إلى صوابهم ومحاولة إصلاح تلك النفوس، بالتعرض لعيوبها الخلقية والنفسية ومتناقضاتها السلوكية التي لا تُسائر المثل العليا للمجتمع، ولا من خلال ما اتصفت به من الصفات المذمومة توافق العرف العام كالبخل، والجبن، والثقل والخرق والتطفل وغيرها من العيوب، وهي كما يبدو عيوب شخصية لا يتعدى ضررها صاحبها، إلا في النادر، وليس ضررها خطيرا أو مباشرا، ولذلك لم تشرع لها عقوبات، ولكنها تركت للمجتمع يعالجها بوسائله الخاصة ولعل السخرية هي أبرز تلك الوسائل، التي تُعالج بها مثل هذه العيوب والنقائص في الأفراد، لأن الساهر يسلط الضوء على تلك العيوب، فبرزها أكثر للعيان ولما يحس المسخور منه بأنه مثار سخيرية، أو أن صفاته وسلوكه يضحك منها غيره، فيرتدع بهذه الطريقة، ويحرص على تجنب ما يضحك منه الآخرين، فتكون السخرية هنا أنجع طريقة لردع هؤلاء وربما تكون فاعليتها في الإصلاح والتقويم أكثر من أي وسيلة أخرى. وبالرجوع إلى النص نجد ابن شهيد من الأدباء، الذين سعوا إلى الإصلاح في مجتمعاتهم، عن طريق أعمالهم الأدبية، رغبة في تغيير تلك الظواهر السلبية إلى الأفضل والأحسن، ولئن كان لابن شهيد خصوم من اللغويين في عصره، سخر منهم في نصه على وجه الخصوص، فإنه لم ينس مظاهر الفساد، وتقلب الأوضاع في ذلك العصر، وما لحق البلاد من أضرار من جراء الفتنة وتبدل الأوضاع السياسية، فأخذ على عاتقه التصدي لتلك الأوضاع بسلاح السخرية، راجيا في ذلك الإصلاح والتغيير. ويتجلى البعد الإصلاحي أو التقويمي لسخرية ابن شهيد في العديد من المواضع في نصه.

## المصادر والمراجع:

- عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس.
- البستاني بطرس: رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد.
- البستاني فؤاد أفرام: رسالة التوابع لابن شهيد.
- خفاجي عبد المنعم: الأدب الأندلسي التطور والتجديد.
- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي.
- عيسى فوزي: الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي.
- هيكل احمد: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة.

## -المحاضرة السادسة: المضمون الماورائي في رسالة الغفران: نص رسالة الغفران.

المعري(449هـ):

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، ولد عام 363هـ كان فيلسوفا عربيا أعمى، شاعرا، وكاتبا، على الرغم من أنه يتمتع برؤية مثيرة للجدل، جدري في أول السنة الرابعة من عمره فذهب بصره. وتوفي سنة 449هـ ، فيكون قد عمّر ما يناهز السادسة والثمانين من العمر، قضاهما بين محابس القدر، وأخطر تلك المحابس كان ذا جانبين: العمى، والعمر. درس على أبيه علم النحو والصرف، وفقه اللغة ، ودرس النحو على يدي أبي بكر بن الفرج النحوي وذهب صبياً إلى حلب فقرأ علوم اللغة على راوية أبي الطيب المتنبّي محمد بن عبد الله بن سعد النحوي، يعتبر من أعظم الشعراء العرب الكلاسيكيين.

ولد في مدينة المعرة خلال العصر العباسي، درس في حلب، ثم في طرابلس وأنطاكية، أنتج قصائد في بغداد، لكنه رفض بيع نصوصه، عاد إلى معرة النعمان بعد أن بدأت والدته تتدهور في صحتها، واستمر في الكتابة مما أكسبه الاحترام المحلي. لم يعرف عن أبي العلاء أنه أتقن لغة سوى العربية، ولكنه بعد أن تمكن من علوم اللغة ، والشريعة، على فضلاء عصره، انهمر على المكتبات التي حفلت بها مدينة حلب، واللاذقية، وطرابلس، فأصاب أوفر ثقافة تيسرت لذهنه الطلعة، وفهمه الدقيق، وذكائه النادر، فأحاط بموروث الفلسفة والأديان.

تجاوزت مؤلفات أبي العلاء المعري مائتي مؤلف، بين كتاب ورسالة ومطولة في الشعر، والنثر، غير أن أهم كتبه وأشهرها ، كتاب "رسالة الغفران" و"رسالة الملائكة" ، وديوان "سقط الزند" ، و"لزوم ما لا يلزم" ، و"الفصول والغايات" بالإضافة إلى عدد كبير مما ضاع من كتبه مثل كتاب "الأيك والغصون" وغيرها وفي عزلة الاختيارية انصرف إلى التأليف والتعليم لا يأخذ عنهما أجرا، والتف حوله العديد من التلاميذ الذين عودوا فضله ونبوغه من القضاة والأئمة والخطباء وأهل البحر والديانات ونستطيع ان نلمس هنا البداية التي بدأها واختلاطه بأصحاب الديانة مما اثر على ثقافته النقلية تأثير بالغ.

كان المعري يوصف بأنه متخوف من الفكر المتشائم، ذات عقلانية مثيرة للجدل، كان يستشهد بيه الناس لأنه كان المصدر الرئيسي للحقيقة والوحي الإلهي، كان متشائما بشأن الحياة، واصفا نفسه بأنه سجين العمى والعزلة، هاجم العقيدة والممارسات الدينية، دافع عن العدالة الاجتماعية وعاش حياة منعزلة.

## رسالة الغفران:

رسالة الغفران عمل أدبي من أهم أعمال الشاعر والفيلسوف العباسي أبي العلاء المعري، كتبها في القرن الحادي عشر الميلادي، ويبلغ عدد صفحاتها 66 صفحة، وهي ردّ على رسالة وردته من ابن القارح، وقسم الرسالة إلى قسمين: رواية الغفران والرد على ابن القارح، وقد جعل الرواية في ستة فصول، وفيما يأتي تلخيص رواية الغفران.

ابن القارح في الجنة، يشير أبو العلاء المعري في بداية الرواية إلى الرسالة التي وردته من ابن القارح، وقد أحدثت في نفسه أثرًا جميلًا، وذكر أنه سيكون لصاحبها أجر كبير عند الله تعالى، ثمّ انتقلت الرواية بابن القارح إلى الجنة الذي ذكرت الرواية أنه استحقّ دخولها لكلماته الطيبة التي كان أصلها ثابت وفروعها في السماء، وبدأت تصف أحوال ابن القارح في الجنة وتصف نعيم الجنة، فتحدثت عن أشجار الجنة العظيمة وأنهارها التي يغذيها نهر الكوثر، وأنهار اللبن والرحيق المختوم.

ينتقل ابن القارح بعد ذلك وهو بطل الرواية في الجنة، ليلتقي الشعراء والفلاسفة والأدباء ويتحاور معهم، بدايةً تُشير الرواية إلى أبي الهندي وهو شاعر إسلامي اسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس، وناقش أبيات شعرية له ثمّ تنتقل إلى أبيات لشعراء آخرين، ويظهر أبو العلاء مقدرته اللغوية وخبرته في الشعر واللغة والأدب.

ثمّ تذكر الرواية بيتين من الشعر للنمر بن تولب، وقصة خلف الأحمر كيف يغير في قافية البيت الأول ثمّ الثاني، وتتابع الرواية وصف الجنة والاستشهاد بالآيات القرآنية وأقوال الشعراء وقصصهم، وتُشير إلى الشعراء والأدباء والنحويين الذي يجدهم ابن القارح في الجنة وقد غفر الله تعالى لهم ودخلوا الجنة، ويذكر منهم: المتنبي، محمد بن الحسن الدوسي، يونس بن حبيب الضبي، الكسائي وغيرهم كثير، وتذكر الرواية الحوارات والأحاديث التي تدور فيما بينهم وهم ينشدون بعضهم الشعر في العالم الآخر، ويلتقي ابن القارح بعدد كبير من الشعراء ويسألهم بماذا غفر الله لهم، منهم: الأعشى وزهير بن أبي سلمى وعبيد بن الأبرص ويروي أشعارهم.

ينتقل بعد ذلك ابن القارح إلى موقف الحشر، حيثُ ينتفض من قبره ليجد نفسه في الساحات يوم القيامة، ويتذكّر عند ذلك أنّ حسناته قليلة وقد لا تنفعه توبته بعدها، وعندما خشي أن يغمره العرق، قرّر أن يقول شعراً في رضوان خازن الجنة ليرأف بحاله على وزن: قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان، لكنّه لم يأبه له لأنّه لا يعرف الشعر، ثمّ رفض أن يدخله الجنة دون إذن من رب العالمين، ثمّ أخبره رضوان أنّ الشعر علمه إبليس للعرب، في ذلك الموقف يرى ابن القارح كثيراً من الخلق منهم: حمزة بن عبد المطلب وشهداء

أحد وفاطمة الزهراء وآل النبي جميعهم وغيرهم كثير، وقد كان معه صك توبته يمضي به لدخول الجنة، ولكن لا تنفعه شفاعة في ذلك الوقت، حتى يضيع منه صك التوبة ويشهد له بتوبته قاضي حلب، ثمَّ يصل إلى النبي محمد فيشفع له ويسمح له بدخول الجنة.

وبعد موقف يحدث له مع رضوان خازن النار، يدخل الجنة بعد ستة أشهر من وقوفه في موقف الحشر. ذكر الجنة مرة أخرى بعد موقف الحشر يجد ابن القارح نفسه في الجنة مرة أخرى، ويلتقي بالراعي النميري ويتحدّث إليه، ثمَّ بحميد بن ثور وقرآن الشعر ثمَّ يلتقيان لبيد بن ربيعة فيدعوها إلى منزله ليتسامروا هناك، ثمَّ يلتقي بأشخاص كثر مثل إسحاق الموصلي ووالده والخليل الفراهيدي وغيرهم ويستفسر منهم عن الأشعار التي كانوا يقولونها في الدينا، ثمَّ تمَّ أمامهم طواويس الجنة وغيرها من المخلوقات التي أبدعها الله تعالى، فيتنمى البعض أن يناها مشوية، فتصبح أمامه فوراً وبعد أن ينتهي من تناول الطعام تعود كما كانت بإذن الله، ويذكر غير ذلك من قصص الجنة التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ابن القارح في جنة العفاريث ينتقل ابن القارح بعد ذلك إلى جنة العفاريث، فيلتقي بالجنّ المؤمنين، ويأخذ أخبارهم ويتعرّف إلى أشعارهم، ويخبره شيخ منهن أنّ عند الجنّ آلاف الأوزان لكتابة الشعر، ويخبره ابن القارح أنّه كان يكتب الشعر ليتقرب به إلى الملوك والأمراء، ثمَّ يتبادلان قراءة الشعر ويكثران منه، يتحدّث ابن القارح بعد ذلك إلى حيوانات الجنة، فيكلم الأسد ويخبره عن أمره في افتراس الطرائد التي لا تألم نتيجة افتراسها، ثمَّ يلتقي بالحطيئة وحاله في الجنة ليس مثل بقية أهلها، فيخبره أنّه نال الشفاعة بصدقه عندما هجا نفسه، ثمَّ يلتقي بالخنساء وغيرها من الذين نالتهم الشفاعة ودخلوا الجنة بعمل في الدنيا. الذهاب إلى الجحيم بعد رحلة طويلة في الجنة.

يزور ابن القارح الجحيم ليتعرف على من دخلها من أهل الدنيا من الشعراء والأدباء والفلاسفة، فيلتقي بإبليس ويتحدّث إليه حديثاً مطوّلاً ويخبره عن قصة بشار بن برد حين مدحه في أشعاره، وهناك يرى عدد كبير من الشعراء الذين دخلوا النار معظمهم من الجاهلية ومنهم: امرؤ القيس، عمرو بن كلثوم، الشنفرى، تأبط شرّاً، عنتره العبسي، طرفة بن العبد، بشار بن برد، الأخطل وغيرهم، ويتعرف على سبب دخول كل واحد منهم إلى الجحيم.

العودة إلى الجنة في نهاية المطاف يعود ابن القارح مرة أخرى إلى الجنة ويلتقي هناك بآدم أبي البشر ويسأله عن الشعر الذي كان ينسب إليه في الدنيا، ثمَّ يصل إلى مكان به أفعى كبيرة عالمة بالقراءات فيطمئن إلى الإقامة عندها ثمَّ لا يلبث أن يهرب منها مهرولاً في أنحاء الجنة، فيلتقي بالمزيد من أهلها مثل:



العجاج، أغلب بني عجل، رؤبة، حميد الأرقط، ويدور بينه وبين رؤبة شجار، وأخيراً ينتهي من لقاءاته تلك ليصل إلى نعيم الفردوس الذي أعدّه الله تعالى.

### نموذج من الرسالة:

...قالوا: ما نصنع بك؟ فقلت : إنّ مولاتنا فاطمة، عليها السلام، قد دخلت الجنّة مذ دهرٍ، وإنّها تخرج في كلّ حينٍ مقداره أربعٌ وعشرون ساعةً من الدُّنيا الفانية فتسلّم على أبيها، وهو قائمٌ لشهادة القضاء، ثمّ تعود إلى مستقرّها من الجنان، فإذا هي خرجت كالعادة، فاسألوا في أمري بأجمعكم، فلعلّها تسأل أباهما فيّ.

فلما حان خروجها ونادى الهاتف : أن غضُّوا أبصاركم يا أهل الموقف حتى تعبر فاطمة بنت محمد، صلّى الله عليه وسلم، اجتمع من آل أبي طالبٍ خلقٌ كثيرٌ، من ذكورٍ وإناثٍ، ممّن لم يشرب خمرًا، ولا عرف قطُّ منكرًا. فلقوها في بعض السبيل، فلما رأتهن قالت : ما بال هذه الزّرافة؟ ألكم حالٌ تذكر؟ فقالوا : نحن بخيرٍ، إنّنا نلتدُّ بتحف أهل الجنّة، غير أنّنا محبوسون للكلمة السابقة، ولا نريد أن نتسرّع إلى الجنّة من قبل الميقات، إذ كنّا آمنين ناعمين بدليل قوله : “إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتتهت أنفسهم خالدون. لا يحزنهم الفرع الأكبر، وتتلقّاهم الملائكة : هذا يومكم الذي كنتم توعدون.

وكان فيهم عليُّ بن الحسين وابناه محمّدٌ وزيدٌ، وغيرهم من الأبرار الصالحين. ومع فاطمة، عليها السّلام، امرأة أخرى جري مجراها في الشرف والجلالة، فقيل : من هذه؟ فقيل : خديجة ابنة خويلد ابن أسد بن بد العزّي، ومعها شبابٌ على أفراسٍ من نورٍ. فقيل : عبد الله، والقاسم، والطّيب، والطاهر، وإبراهيم : بنو محمّدٍ، صلّى الله عليه وسلم. فقالت تلك الجماعة التي سألت : هذا وليٌّ من أوليائنا، قد صحّت توبته، ولا ريب أنّه من أهل الجنّة، وقد توسّل بنا إليك، صلّى الله عليك، في أن يراح من أهوال لموقف، ويصير إلى الجنّة فيتعجّل الفوز. فقالت لأخيها إبراهيم، صلّى الله عليه : دونك الرجل. فقال لي : تعلّق بركابي. وجعلت تلك الخيل تحلّل الناس وتنكشف لها الأمم والأجيال، فلما عظم الرّحام طارت في الهواء، وأنا متعلّق بالركاب، فوفقت عند محمّدٍ، صلّى الله عليه وسلم، فقال : من هذا الأتايي؟ أي الغريب. فقالت له : هذا رجلٌ سأل فلانٌ وفلانٌ-وسمّت جماعةً من الأئمة الطاهرين- فقال : حتّى ينظر في عمله.

فسأل عن عملي فوجد في الدّيوان الأعظم وقد ختم بالتوبة، فشفع لي، فأذن لي في الدُّخول. ولما انصرف الزّهراء، عليها السلام، تعلّقت بركاب إبراهيم، صلّى الله عليه. فلما خلصت من تلك الطُّموش، قيل لي : هذا الصّراط فاعبر عليه. فوجدته خاليًا لا عريب عنده فبلوت نفسي في العبور، فوجدتني لا

أستمسك. فقالت الزَّهراء، صَلَّى اللهُ عَلَيْهَا، لجاريةٍ من جوارِهَا : فلانة أجيزيه. فجعلت تمارسني وأنا أتساقط عن يمينٍ وشمالٍ، فقلت : يا هذه، إن أردت سلامتي فاستعملي معي قول القائل في الدار العاجلة:

سَتِّ إن أعياءك أمري فاحمليني زقفونه

فقالت: وما زقفونه؟ قلت: أن يطرح الإنسان يديه على كتفي الآخر، ويمسك الحامل بيديه، ويحمله وبطنه إلى ظهره، أما سمعت قول الجحجلول من أهل كفرطاب:

صلحت حالتي إلى الخلف حتى صرت أمشي إلى الوري زقفونه

فقالت: ما سمعت بزقفونه، ولا الجحجلول، ولا كفرطاب، إلا الساعة. فتحملني وتجاوز كالبرق لخاطف. فلما جرت، قالت الزَّهراء، عليها السلام : قد وهبنا لك هذه الجارية فخذها كي تخدمك في الجنان.

الرسالة في الأصل رسالة كتبها أبو العلاء المعري جوابا على رسالة وجهها إليه أحد معاصريه في حلب وهو (علي بن منصور) ويعرف بابن القارح، وهي عبارة عن قصة خيالية تخيل فيها أبو العلاء أن ابن القارح بأرض المحشر في يوم القيامة، ثم عُفِّر له فادخل الجنة فراح يطوف فيها وينعم بطيباتها، ويجتمع بطائفة من الشعراء الجاهلية والإسلام، ويسألهم كيف نالوا الغفران، ويعقد معهم المجالس الأدبية، ثم ينتقل إلى جنة العفاريث، فيألي الجحيم، ومن الجحيم يعود إلى الجنة.

### عناصر الرسالة:

#### -الشخصيات:

-ابن القارح: بطل القصة وهي شخصية أساسية -الخازن رضوان: شخصية ثابتة.-الخازن زفر : شخصية

ثابتة-حمزة بن عبد المطلب: شخصية ثابتة -علي بن أبي طالب: شخصية ثابتة.

-الرسول الكريم محمد وابنته: شخصيتان ثابتتان -الأسد: شخصية ثابتة.

-الذئب: شخصية ثابتة -المكان: أرض المحشر -الزمان: يوم القيامة.

-العقدة: رغبة ابن القارح دخول الجنة -الحل: شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

#### -الأحداث:

تصور رحلة خيالية لابن القارح بعد أن يبعث من الموت ويصعد للحساب فيعطى كتاب أعماله فيجد حسناته قليلة ولكن في آخره صك للتوبة ، فيبحث عن شفيع يشفع له فيلتقي بالملائكة والصحابة

وفي كل مرة يطلب منهم الشفاعة متقربا إليهم لأجل ذلك عن طريق الشعر إلى أن يصل للرسول محمد عليه الصلاة والسلام فيجد أعماله قد ختمت بالتوبة فيشفع له.

### المصادر والمراجع:

- أبو العلاء المعري: رسالة الغفران.
- طه حسين: ذكرى أبي العلاء.
- عمر فروخ: حكيم المعرة أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري.
- يسرى سلامة: النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء المعري.
- عائشة عبد الرحمن: الغفران دراسة نقدية.
- كمال اليازجي: جذور الفلسفة في الشعر العربي القديم.
- عبد الوهاب الرقيق: أدبية الرحلة في رسالة الغفران.

## المحاضرة السابعة: المضمون الفلسفي في قصة حي بن يقظان:

ابن الطفيل (581هـ):

هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، ولد في مدينة أندلسية قريباً من قرطبة، وهو صاحب كتاب حي بن يقظان الذي تُرجم للعديد من اللغات، وهو فيلسوف وطبيب وقاضٍ وفلكي، وقد حاول التوفيق بين الرؤى الفلسفية والرؤى الدينية، وكان معاصراً لابن رشد صديقاً له، وقد تولى منصب الوزارة في فترةٍ من الفترات بالإضافة لكونه الطبيب الخاص للسلطان أبي يعقوب يوسف، وقد كان لابن طفيل إسهاماتٌ واضحة فقد عُثر عنده بعد وفاته على خارطة توضح سير الأفلاك على عكس ما كان يثبت بطليموس، وترك من خلفه أرجوزة في الطب ذكرها لسان الدين بن الخطيب، ولد ابن الطفيل في مدينة آش بالقرب من غرناطة، لذلك ينسب للأندلس فيقال الأندلسي والإشبيلي والقرطبي، شغل العديد من المناصب كحاكم لمدينة غرناطة ثم أصبح وزيراً بعد ذلك، وكان له خطوة كبيرة عند الخلفاء في عصره، كُني بأبي جعفر واستقى علمه عن ابن باجة، كان الملهم لابن رشد في عمله وذلك حينما أخبره بأن حركة الترجمة تضيء على الكتب والمجلدات الغموض، وعلى ابن رشد أن يقوم بإيضاح النوايا والأهداف من هذه الكتب حتى يسهل على الناس فهمها، بحكم أنه يملك الإدراك والفهم وقلة المشاغل، وقد كان لابن الطفيل آراءً مختلفةً في علم الفلك بما يخص حركة الأفلاك بالنسبة للدوائر الداخلية، وكان لابن الطفيل الأثر الواضح بالكتابات الغربية والشرقية من خلال كتابه: حي بن يقظان، ما بين ناقد ومؤيد، توفي في مراكش عن عمرٍ يناهز سبعة وثمانين 87 سنة وقد شارك الخليفة في جنازته.

### قصة حي بن يقظان:

إن ما يميز قصة حي بن يقظان التي كتبها الأديب والطبيب والفيلسوف الأندلسي أبو بكر محمد بن طفيل، هو الفرادة في اعتماد الفكرة، والابتكار في البناء الفني، والبراعة في المعالجة، والفعالية في الإيجاء. لقد عرض ابن طفيل في هذه القصة سيرة المعرفة الإنسانية، عبر سيرة ربيب طبية دُعي حي بن يقظان، وكيف تمكن بفطرته الفائقة من الارتقاء بالمعرفة من الحواس والتجربة إلى المعرفة العقلية القائمة على نتائج ومعطيات ما جربه وخبره في عالم الكون والفساد حتى خلص إلى الحكمة الشرقية.

### مضمون القصة:

إن ولادة حي بن يقظان يبقى لغزاً، ومع ذلك فإن الرواية السائدة تقول أن حي بن يقظان قد ولد ولادة مألوفة من أم هي شقيقة ملك إحدى الجزر الهندية، ومن أب هو قريب لها اسمه يقظان، كانت

شقيقة الملك قد تزوجته خفية عن شقيقها الذي منعها من الزواج، وعندما وضعت المرأة طفلها خشيت من نعمة شقيقها الملك، فوضعت الطفل في تابوت وألقته في البحر. حملت الأمواج التابوت حتى ألقته على ساحل جزيرة مجاورة هي جزيرة الواقواق. وصادف أن مرت في المكان الذي استقر فيه التابوت ظبية كانت تبحث عن ابنها الذي فقدته فسمعت صوت بكاء الطفل فاتجهت نحوه، وكان أن عثرت على حي الوليد فأرضعته وحضنته.

يكبر حي بن يقظان وتمر حياته في سبع مراحل. أما الأولى فهي إرضاع الظبية لحي وحضانتها ورعايتها له حتى سن سبع سنوات. ثم بعد ذلك وفاة الظبية وتشريحها من قبل حي لمعرفة سبب الوفاة، وهنا بدأت تتكون عند حي المعرفة عن طريق الحواس والتجربة. أما المرحلة الثالثة فكانت في اكتشاف النار. أما المرحلة الرابعة فكانت في تصفحه لجميع الأجسام التي كانت موجودة حوله، فكان بذلك يكتشف الوحدة والكثرة، في الجسم والروح، واكتشف تشابه الكائنات في المادة واختلافها في الصور. أما المرحلة الخامسة فكانت في اكتشاف الفضاء وهذا شجعه إلى الخروج من رصده إلى معارف في العالم بقدمه وحدثه. وعند بلوغه الخامسة والثلاثين من عمره، بدأ حي مرحلته السادسة وهي الاستنتاج بعد التفكير، فتوصل إلى أن النفس منفصلة عن الجسد وفي التوق إلى الموجد واجب الوجود. وأخيراً، يصر حي بن يقظان، في المرحلة السابعة على أن سعادته تكون في ديمومة المشاهدة لهذا الموجود الواجب الوجود ورغبته في البقاء داخل حياة رسمها هو لنفسه. مما ينبغي إضافته أيضاً في بداية الدراسة هذه، أن معنى اسم حي بن يقظان لم يكن وليد صدفة. "فحي" يرمز إلى العقل الفعال أو النفس الملكية المفكرة، وهو عقل خالد حي لا يتغير ولا يهرم. و"ابن يقظان" هو القيوم الذي لا ينام له جفن، ويهدي الإنسان إلى الحقائق عن طريق المنطق ويجذره إتباع الحواس والغرائز فقط.

### من القصة إلى الفلسفة:

إن استحضار عالم الخيال أو الرمز لعرض الأفكار الفلسفية أو للتعبير عنها في قالب فني من الأساليب التي عهدتها الفلسفة منذ نشأتها، وفي ذلك أمثلة لا تحصى فيها على سبيل الذكر استخدام أفلاطون للترهات الإغريقية وللأساطير إطاراً أو على سبيل الاستشهاد في محاوراته مع طيماوس وكريتياس من الشعر وتشوانغ تزو من القصص قوالب لعرض الفلسفة الطاوية. وهنا لا بد من التنويه بما وصلت إليه العناية بالقالب الفني جمالياً وتقنيا لدى ابن سينا في قصيدة النفس، والمعري في رسالة الغفران، بحيث وصلت هذه الأعمال فنياً إلى المستوى الفني الراقي فلسفياً حتى كانت قصة حي ابن يقظان القمة. ولا شك أن المقومات التي نشأت وقامت عليها القصص الفلسفية الأوروبية ابتداءً من القرن الثامن عشر حتى اليوم من "فولتير

"Voltaire" و "Rousseau" و "Sartre" و "كامو" Camus وغيرهم مثلاً تنتمي إلى تلك المقومات التي حُبكت عليها قصة حي بن يقظان.

### المضمون الفلسفي في قصة ابن الطفيل:

تنبه ابن طفيل منذ قرون عديدة إلى ما يمكن أن يؤديه الفن في التعبير عن الفكر الفلسفي، فكان أن استخدم فن القصة، وكانت قصة حي بن يقظان التي قدمت لنا فكر ابن طفيل الفلسفي، فإذا نحن أمام سيرة للمعرفة الإنسانية.

### 1- من العزلة إلى المعرفة:

في سيرة المعرفة الإنسانية تلك التي يعرضها كتاب حي بن يقظان تلفت نظرنا في نشأتها تلك البيئة، ونعني بها العزلة عن الناس، التي يعيشها نموذج هذه السيرة. وسرعان ما يتكشف لنا أن حياً أخذ يغالب هذه العزلة بطلب المعرفة، فطلب المعرفة وسيلة من وسائل التغلب على العزلة، إذ تدفعنا المعرفة إلى الانصراف عن عزلتنا المركزة في ذواتنا، وتنقلنا إلى مكان آخر وزمان آخر، حيث نتصل بالذات الأخرى، فهي فرار من العزلة ومخرج لمعرفة أنا أخرى. وعن طريق المعرفة يخرج الإنسان من توحده، ويتوقف عن الحياة في نفسه لنفسه. وليس من الممكن أن نتجاهل الجانب الاجتماعي للمعرفة إذ أنها تساعد على إقامة الاتصال بين الناس، فإن كل محمولاتها وكل منطقتها الجماعي وجهازها المنطقي من تصورات ولغة ومعايير وقوانين.. كلها اجتماعية.

وللمعرفة عند ابن طفيل نهج وصفات. أما النهج فهو سبل وأسباب الحصول عليها، وهي عديدة: النظر، المراقبة، المحاكاة، الملاحظة، الاكتشاف، المصادفة، الحاجة، التجربة، الاختبار، المقارنة، القياس، الاستنتاج، الحدس، التصرف.. إذاً فالمعرفة مكتسبة وليست مخلوقة، وتلك هي الصفة الأولى من صفاتها، أما الصفة الثانية فهي أن المعرفة متطورة وليست ناجزة، وعلى هذا كانت صفتها الثالثة كمتدرجة وليست خالصة. أما الصفة الرابعة فهي كونها متفرعة متنوعة.

ويكاد النظر والمراقبة والملاحظة تجتمع معاً، ذلك أن حياً كان "ينظر إلى جميع الحيوانات" وكان يرى أحياء الوحوش تتحامي ميتها وتفتر عنه.. كل هذه الاقتباسات وأخرى تدل على اجتماع النظر والمراقبة والملاحظة.

أما المعرفة عن طريق الاكتشاف أو الصدفة، فبمسعي حي (قيامه بتشريح الطيبة) يكتشف حي ما في داخل الطيبة من أعضاء داخلية وصفاتها ووظائفها، وقد يجتمع الاكتشاف مع الصدفة فيأتي نتيجة لها.

أما المحاكاة وهي من نتائج النظر والمراقبة والملاحظة، فقد باشرها حي منذ طفولته مقلداً الحيوانات والطيور في دفاعها وكسائها فيتخذ له بدل قرونها وأنيابها عصياً وبدل وبرها كساء من أوراق الشجر أو من ريش الطير. وبعدها يشرح الطيبة يذفنها تقليداً للطير في دفن موتاه.

أما الحاجة فكانت تدفع بحي إلى المعرفة بين الحين والحين. فحاجة حي لاتقاء البرد وللحماية دفعته إلى تقليد الحيوان في كسائه ودفاعه عن نفسه. "واهدى إلى البناء بما رأى من فعل الخطاطيف.. فاتخذ مخزناً وبيتاً لفضلة غذائه".

أما التجربة والاختبار فيتجلبان في مواضيع عدة، منها تشريح حي للطيبة، ثم اختباره لقوة النار.

والمقارنة والقياس والاستنتاج هي نتاج ما تقدم من سبل وأسباب مجتمعة أو منفردة بنتيجة تجربة حي في تشريح الحيوان يستنتج حي وجود روح حيواني في أجزاء الجسم المختلفة، ويتبين له اختلاف الأشياء بصفات واشتراكها أو اتفاقها في صفات أخرى من خلال تصفحه الأجسام. ثم يتوصل حي بالقياس والمقارنة إلى طبيعة المادة وتركيب الأجسام من هيولي وصوره حتى إذا تأتى له ذلك خلص إلى أن الفساد مُحدثٌ للصوره وهكذا حتى آخر أدوار حياته .

أما الحدس فهو طريق حي لمعرفة ما هو غير محسوس عن طريق ذاته، ويأتي هذا الحدس دوماً مرتبطاً أو ناتجاً عن أسباب ومصادر. فوجود العالم هو الذي جعل حي يحدس بوجود قوة أقوى ذلك أن "كل حادث لا بد له من مُحدث".

بقي السبيل إلى السعادة وهو في دوام المشاهدة للموجود أمامه ويتسنى ذلك بالمشاهدة الصرف والاستغراق الكامل بوجه من الوجوه أو بشيء من الأشياء.

إذاً فالمعرفة، لا بد أن تكون مكتسبة، لا مخلوقة مع الإنسان. وهذه المعرفة لا تقف عند حد، فهي تتطور وتترج. فحي يرتقي في المعرفة عن طريق الحواس والتجربة إلى المعرفة العقلية القائمة على الاستنتاج من التجربة في عالم الأرض إلى التأمل في السماء والعالم بأسره خروجاً من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة، وكان لا بد وللمعرفة تطورها وتدرجها من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة أن تتفرع جوانبها فتتنوع موضوعاتها. وهكذا توصل حي إلى الإحاطة بمواضيع تنتمي إلى ما اصطلح على تسميته بالعلوم وهي بالواقع الصيغ التي انضوت فيها المعارف الإنسانية، وهكذا حوت قصة حي بن يقظان التربية Pedagogy ، والجغرافية Geography، وعلم نشوء الكون Cosmography ، والرياضيات Mathematics ، والأخلاق Moral، والفلك Astronomy ، والعلوم الطبيعية من فيزياء Physics ، والكيمياء Chemistry ، وعلم الحياة Biology ، وأخيراً إلى علم الاجتماع Sociolog ، وما وراء الطبيعة. Metaphysics.

## 2- تربية حي بن يقظان:

أول ما يُلفت النظر في تربية حي بن يقظان هو ذلك الحنان الذي تُضفيه الطبيعة على ربيها حي . لم يترك ذلك الحنان أمر ترك الطفل ينشأ تنشئة طبيعية بحيث تنمو شخصيته بحريته دون أن تفارقه مربيته الطبيعة. وبعد موتها نجد حي بن يقظان إنساناً يعيش بعيداً عن المجتمع البشري يسعى إلى المعرفة ويكتسبها متطوراً بكل الأساليب المذكورة أعلاه.

أما الأخلاق في قصة حي بن يقظان فهي تتجلى حيناً في موقف نفسي عاطفي يظهر مثلاً في تلك المحبة، وذلك العرفان بالجميل من حي نحو الطبيعة التي ربته من خلال مساعدتها وإطعامها وجلب الثمار لها عند عجزها. كما نرى الأخلاق تتجلى حيناً في موقف من النمط الاجتماعي التمديني رغم عدم وجود مجتمع أو مدنية بمساعدته كل الحيوانات أو الطيور التي تعاني من عاهة ما أن يساعدها، برفعها أو اقتلاع شوكة ضارة.. ويصل الموقف الاجتماعي التمديني لدى حي على المستوى الطهارة وإزالة الدنس والرجس عن جسمه والاعتسال بالماء في أكثر الأوقات، وتنظيف ما كان من أظافره وأسنانه وبواطن بدنه، وتطبيبها بما أمكنه من طيب النبات وصنوف الدواهن العطرة.

## 3- من المعارف الطبيعية إلى العلوم:

وكانت المعرفة بالصيغة التي سُميت علوماً طبيعية هي أول ما وصل إليه حي بن يقظان، وقد باشر بعلم الحيوان والطب إذ قام بتشريح الطبيعة وتعرف إلى أعضائها الداخلية عضواً عضواً ودقق في أوصافها ووظائفها، ومن ذلك ينتقل إلى النبات والمعادن وأصناف الحجارة والتربة والماء والبخار والدخان.

وبالنسبة إلى صفات الأجسام وخواصها نجد حياً يكتشف الأحجام في الأجسام، وإلى الحرارة والبرودة وتحولاتها ونحو ذلك من الاختلافات. ويبدو أن حياً اكتشف الجاذبية وأثرها على الأجسام من حيث ثقلها.

أما مسألة النشوء، فنراه في ولادة حي بن يقظان نفسه حيث يعرض ابن طفيل النشوء المرتجل لحي بن يقظان على أساس أنه عمل طبيعي يلتزم بمسألة النمو الطبيعي أي البيولوجي من خلال التغذية والحفاظ على صحة المولود.

وقد كان التشريح أداة حي للتعرف إلى الأعضاء ودراسة وظائفها. فإذا بقصة حي بن يقظان تقدم ما يشبه دروساً ابتدائية في التشريح وأصوله. ثم ينتقل حي من وصف الأعضاء ووظائفها وسيما القلب إلى التعرف إلى الحواس وميزاتها، ويلاحظ حي بن يقظان دقة الحواس بالدماع والأعصاب.

## 4- حي يخرج إلى ما وراء الطبيعة:



قبل أن يطرح حي بن يقظان مسألة قدم العالم، نجده يمرر مبادئ فلكية وكوسموغرافية مختلطة بالجغرافيا. نلاحظ أن اهتمام ابن طفيل بالعالم الطبيعي عظيماً جداً، لكن قصد تأليف حي بن يقظان أن يبحث عن عالم ما وراء الطبيعة في الدرجة الأولى.

ونضيف أن ابن طفيل قد أراد من خلال تناوله عالم ما وراء الطبيعة كشف الوصول إلى "الحكمة المشرقية" التي ذكرها ابن سينا، كما أكد ذلك لبن طفيل نفسه في مطلع قصة حي بن يقظان، باعتبار أن الحكمة المشرقية على ما يبدو من رأيه هي قمة المعرفة الإنسانية.

ما وراء الطبيعة يتناول الوجود الطبيعي في ماهيته الأولى التي لم يتح للوجود الإنساني معاصرة أو مشاهدة نشوء هذه الماهية، ولم يكن للعقل البشري المجال للإحاطة بمدى هذه الماهية. ولتأريخ نشوء الوجود الطبيعي لا بد من اعتماد المقياس التقليدي ونعني به الزمن. وفي قصة حي بن يقظان لا يُجْزَم ما إذا كان الزمن سابقاً لوجود العالم أم لاحقاً به.

ونحن نرى أن المشكلة الأساسية في نظر ابن طفيل ليست هي اعتقاد حدوث العالم أو اعتقاد قدمه، وإنما هي فيما ينشأ عن كل من الاثنين، وهو يرى أنه سواء اعتقادنا قُدم العالم أو حدوثه، فإن النتائج عن ذلك واحد، وهو أن هذا العالم لا بد له من موجد ومن محرك.

وعلى كل فإن نشوء وتحقق الوجود يمر عند ابن طفيل بمراحل ثلاث هي، وهذا يعني أن ابن طفيل قد ذهب مذهب أرسطو في ذلك:

الهيولي: ومن المعروف أن الهيولي شبيهة بالعدم فهي خالية من الحياة مجردة من الماضي المادي وتنتفي منها الصورة.

العناصر الأربعة: وهي الماء والهواء والتراب والنار، وهي المظاهر الطبيعية الأولى أو أولى مراتب الوجود، فقد تبين لحي أن جميع الأجسام التي في عالم الكون منها ما تتقوم حقيقتها بصورة واحدة زائدة على معنى الجسمية، وهذه هي العناصر الأربعة.

الصور: ومنها تتقوم حقيقتها بأكثر من ذلك كالحیوان والنبات. فما كان قوام حقيقته بصور أقل، كانت أفعاله أقل، وبعده عن الحياة أكثر، فإن عدم الصورة محله لم يكن فيه إلى الحياة طريق، وصار في خال شبيهة بالعدم، وما كان قوام حقيقته بصور أكثر، كانت أفعاله أكثر، ودخوله في حال الحياة أبلغ. وإن كانت تلك الصور بحيث لا سبيل إلى مفارقتها لمادتها التي اختصت بها كانت الحياة حينئذ في غاية الظهور والدوام والقوة.

فالشياء العديم للصورة هو الهولي والمادة، والمادة ولا شياء من الحياة فيها وهي شبيهة بالعدم، والشياء المتنوه بصورة واحدة هي العناصر الأربعة وهي أولى مراتب الوجود في عالم الكون ومنها تتركب الأشياء ذات الصور الكثيرة. وهكذا كانت الطريق التي سلكها حي نحو الحكمة المشرقية تكشف عن أسرارها...

### الخلاصة :

حاول ابن طفيل بوعي وبسياق قصصي متابعة فكرة فلسفية محددة ومن ثم إثباتها ومفادها أن الإنسان قادر من خلال تطوره الطبيعي ومن دون أن يكون على علم بالشرائع الدينية أن يبلغ حالة عقلية واجتماعية كاملة وأن يبلغ منتهى الحقيقة أي : وجود الله وإثباته وهو سر الخاتمة حين يلتقي حي الناشئ وحده في جزيرة نائية لم تطأها قدم إنسان (يمثل العقل ) مع إيسال الورع (الذي يمثل الدين المنزل)، فإذا أفكارهما واحدة والحقيقة عندهما واحدة، وهي خلاصة يسهل تبين أهميتها وتميزها في عصره: "العقل قادر على بلوغ الحقيقة، وأنه يقود فيما لو أحسن استخدامه إلى نفس النتائج والحقائق التي يصرح بها الأنبياء والشرائع، فجوهر القصة هي التوفيق بين: الفلسفة والشريعة، وبين العقل والدين.

### المصادر والمراجع:

- ابن طفيل: حي بن يقظان، تحقيق وتعليق أحمد أمين.
- عمر فروخ: ابن طفيل وقصة حي بن يقظان.
- فاروق سعد: من مقدمة حي بن يقظان.
- عاطف العراقي: الميتافيزيقيا في فلسفة ابن طفيل.
- محمد لطيف جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام.